الْحَمْدُ للهِ عَلَى تَوَاتُرِ نِعَمِهِ، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْلاَهُ الْكَرِيمَ عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[1]. وَأَسْأَلُهُ المَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ، وَالشُّكْرَ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، إِنَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ، وَأَمِينِهِ عَلَى وَحْيِهِ وَعِبَادِهِ، صَلاَةً تَكُونُ لَهُ رِضًا، وَلَنَا بِهَا مَغْفِرَةٌ، وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا طَيِّبًا.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين..

أما بعد..

فإني أشكر الله -جل وعلا- على ما مَنَّ به من هذا اللقاء وهذا الاجتماع، ثم أشكر الإخوة الكرام القائمين على هذا الجامع المبارك، وما يبذلونه من جهود علمية لإخوانهم المسلمين، وتبصيرهم بعلوم الدين، جزى الله الجميع خيرًا: مَن رَتَّب، ومَن نظَّم، ومَن حرَّر، ومَن تكلم.

وهذا الكتاب هو: (أخلاق أهل القرآن الكريم)، وهو لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، وهو من علماء بغداد، نشأ في بغداد وتعلم فيها، وسمع من علمائها، ثم بعد ذلك انتقل إلى مكة، إلى أن توفي بها سنة ستين وثلاث مئة، وهذا الإمام العلم صاحب سنة، وصاحب قدر من العلم، وعلى مكانته من العبادة والزهد والورع، وكان في أول أمره على المذهب الشافعي، ثم انتقل إلى المذهب الحنبلي، كما تنص على ذلك كتب التراجم، وله مؤلفات منها: كتاب الشريعة، وكتاب أخلاق العلماء، وهذا الكتاب هو: أخلاق أهل القرآن، وتميزت مؤلفاته بيسر العبارة وسهولة العرض والنقل.

وتميزت كذلك بالاعتماد على ما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين، وهو كان قريبًا من القرون المفضلة كما سمعنا من تاريخ وفاته، ومع إنه متقدم إلا أن عباراته واضحة الدلالة، بَيِّنَةُ الأسلوب، لا تحتاج إلى مزيد من التكلف والبيان والإيضاح، وليست مشكِلَة، وليس فيها ما يحتاج إلى

---

(١) النساء: ١١٣.

حل وبيان، وربما يقرأها طالب العلم ويفهم ماذا يريد، وماذا يقصد المؤلف من كلامه، ولكن بعد أن سمعنا هذه المقدمة الطويلة يمكن أن نقسمها إلى مسائل متعددة.

المسألة الأولى: وهي الاستفتاح:

فالمؤلف -رحمه الله- استفتح كما يستفتح غيره من أهل العلم بالحمدلة، والصلاة على النبي -عليه الصلاة السلام، وببيان ما لربنا -جل وعلا- من الحمد والثناء والتعظيم، الذي ينبغي أن يكون من عباده له -جل جلاله- حيث سرد آيات متعددة، فيها بيان الثناء على الله -تعالى- بالحمد والشكر، وما هو أهل له -جلَّ وعلا، وهو -سبحانه- قد افتتح كتابه بالحمد، كما نص على ذلك المؤلف، فقال الله -تعالى- في أول القرآن: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]. وقال أيضًا في أول سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾[٣]. وافتتح خلقه أيضًا بالحمد، فقال -سبحانه: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[٤]. واختتم خلقه أيضًا بالحمد، فقال -سبحانه: ﴿وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٥].

وقد حمده ملائكته في كتابه، وحمده أنبياؤه والصالحون من عباده، وهو حمد نفسه -جل وعلا، فهو المستحق للحمد كله، ومستحق للشكر كله وللتعظيم، فهو رب العباد وهو خالقهم، وهو إلههم ومعبودهم، وقد أثنى الله -جل وعلا- على نفسه في آيات كثيرة في كتابه الكريم، منها هذه الآيات المتضمنة للحمد، وفي هذا تعليم للعباد بأن يكثروا من حمد الله -جل وعلا- الذي هو ثناء على الله في أسمائه وصفاته وأحكامه وأمره وشرعه.

(أَمَّا بَعْدُ..

---

(٢) الفاتحة: ١.

(٣) الكهف: ١.

(٤) الأنعام: ١.

(٥) الزمر: ٧٥.

فَإِنِّي قَائِلٌ -وبِاللهِ أَثِقُ بِالتَّوْفِيقِ وَالصَّوَابِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ: أَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمَ خَلْقَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ، وَهُدًى لِمَنِ اهْتَدَى بِهِ، وَغِنًى لِمَنِ اسْتَغْنَى بِهِ، وَحِرْزٌ مِنَ النَّارِ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَنُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ أَمَرَ خَلْقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، فَيُحِلُّوا حَلاَلَهُ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَيَقُولُوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(٦). ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى تِلاَوَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَالدُّخُولَ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ نَدَبَ خَلْقَهُ -عَزَّ وَجَلَّ- إِذَا هُمْ تَلَوْا كِتَابَهُ أَنْ يَتَدَبَّرُوهُ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ، وَإِذَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَحْسَنُوا اسْتِمَاعَهُ، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَلَهُ الْحَمْدُ، ثُمَّ أَعْلَمَ خَلْقَهُ أَنَّ مَنْ تَلاَ الْقُرْآنَ، وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مَوْلاَهُ الْكَرِيمَ، فَإِنَّهُ يُرَبِّحُهُ الرِّبْحَ الَّذِي لاَ بَعْدَهُ رِبْحٌ، وَيُعَرِّفُهُ بَرَكَةَ الْمُتَاجَرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ).

المسألة الثانية في هذه المقدمة بعد قوله: أما بعد:

أنه ذكر فضل القرآن الذي أنزله الله -تعالى- على نبيه محمد -صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا القرآن العظيم قد بَيَّن الله -جل وعلا- فضله وقدره ومكانته، قَبْل أن ينزله، وقد ذكر ربنا -جل وعلا- هذا الفضل والقدر في القرآن الكريم، قبل أن ينزله على العباد، وهذا من فضل القرآن وتعظيمه عند الله -جل وعلا، فقد عظمه الله -تعالى- وأثنى عليه، وبَيَّن قدره ومكانته في الملأ الأعلى، كما قال -سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٧). فهذا ثناء من الله على كتابه، وقال -تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾(٨).

(٦) آل عمران: ٧.

(٧) الزخرف: ٣ - ٤.

(٨) الواقعة: ٧٥- ٧٨.

وقال -تعالى- في أول سورة عبس: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾[٩]، فبيَّن مكانة هذا القرآن قبل أن ينزله على عباده، وذكَّرهم بما كان عليه هذا القرآن في الملأ الأعلى، من التعظيم والثناء على هذا القرآن الكريم، وبعد ذلك -وهذا داخل في بيان فضل القرآن وتعظيمه- أن الله -تعالى- أنزله في أفضل الشهور وأعظمها، وهو شهر مبارك كما أن القرآن مبارك، فإن هذا القرآن نزل في شهر مبارك، قال الله -تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[١٠]، ونزل هذا القرآن في أفضل ليلة وهي ليلة القدر، أفضل الليالي في شهر رمضان، وفي غير شهر رمضان، قال -تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١١]. وقال -سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[١٢]. فسماها مباركة؛ لأن الشهر مبارك، والليلة مباركة، والقرآن مبارك.

ثم بعد ذلك أنزله الله -تعالى- على نبي مبارك، على خاتم النبيين وإمام المرسلين النبي المصطفى المجتبى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾[١٣]. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[١٤]. فهذه جوانب تبين لك فضل هذا القرآن، وتعظيمه عند الله -جل وعلا.

ومن الوجوه في فضل هذا القرآن وبيان مكانته عند الله: أن الله -تعالى- كلَّف بإنزاله أفضل الملائكة وأشرفهم، وهو جبريل -عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[١٥]. إلى أن قال الله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[١٦].

---

(٩) عبس: ١٣.

(١٠) البقرة: ١٨٥.

(١١) القدر: ١.

(١٢) الدخان: ٣.

(١٣) ص: ٢٩.

(١٤) الشعراء: ١٩٣- ١٩٥.

(١٥) الحاقة: ٤٠.

(١٦) التكوير: ٢٠- ٢١.

ثم جعل الله -وهذا من الوجوه في التعظيم- هذا القرآن الكريم خاتم الكتب المنزلة؛ حيث جعله وضَمَّنه أفضل مما كانت عليه تلك الكتب من البركة والخير، وفاقها أكثر من ذلك، قال الله -تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[١٧]. أي: مهيمنًا على ما تقدم من الكتب، والله -تعالى- قد قال قبل هذه الآية: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[١٨]. وقال بعدها: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾[١٩]. أي: مما تقدم من الكتب الأخرى ثم فاقها؛ لأنه مهيمن عليها، أي: حافظ ورقيب وفائق على ما جاءت به تلك الكتب من أوامر الله -تعالى- وشرائعه، فاجتمعت في هذا القرآن العظيم.

فهذه الوجوه تبين لنا فضل القرآن الكريم ومكانته عند الله -تعالى، وأنه الكتاب الخاتم الذي لا كتاب بعده، وأن فيه ما يحتاجه الناس في كل شؤونهم في حياتهم الدنيا وفي سعادتهم في الآخرة، كما قال الله -تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٢٠] .

وسرد المؤلف آيات تدل على ذلك، وذكر أوصافًا تُبيِّن فضل هذا القرآن الكريم، وأن من أوصافه أنه كتاب رحمة، وكتاب هدى، وكتاب نورن وكتاب شفاء، وكتاب موعظة؛ كما جاء في المسألة الثانية.

قال محمد بن الحسين[٢١]: (جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُهُ وَمَا سَأَذْكُرُهُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- بَيَانُهُ فِي كِتَابِ الله -عَزَّ وَجَلَّ- وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمِنْ قَوْلِ صَحَابَتِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ، وَسَأَذْكُرُ مِنْهُ مَا حَظِيَ مِنِّي ذِكْرُهُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِذَلِكَ.

المسألة الثالثة: سرد المؤلف منهجه في هذا الكتاب:

---

(١٧) المائدة: ٤٨.

(١٨) الحديد: ٢٧.

(١٩) المائدة: ٤٨.

(٢٠) الأنعام: ٣٨

(٣) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: "الشريعة"، و"الأربعين". توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧).

فقد اعتمد فيه على ما جاء في كتاب الله -تعالى، وما ورد في سنة النبي -عليه الصلاة والسلام، وما جاء عن الصحابة أو التابعين ومَن بعدهم، وهذا المنهج هو المنهج السليم، الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم في حياته، وهو أن يلتزم بما جاء في كتاب الله، وفي سنة نبيه -عليه الصلاة والسلام، وما جاء عن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم، فهذا الطريق المؤدي إلى رضوان الله -تعالى، الموصل إلى جنته ومغفرته، المحقق لهدايته ونوره في الدنيا والآخرة.

قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢٢]. وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٢٣]. وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾[٢٤]. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٥]. وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[٢٦]. وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[٢٧]. وَحَبْلُ اللهِ هُوَ الْقُرْآنُ. وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ

---

(٤) فاطر: ٢٩- ٣٠.

(٥) الإسراء: ٩- ١٠.

(٦) الإسراء: ٨٢.

(٧) يونس: ٥٧.

(٢٦) النساء: ١٧٤- ١٧٥.

(٢٧) آل عمران: ١٠٣.

هَادٍ﴾[٢٨]. وَقَالَ -تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[٢٩]. وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[٣٠].

ثُمَّ إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَعَدَ مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى كَلاَمِهِ، فَأَحْسَنَ الأَدَبَ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِ، بِالاعْتِبَارِ الْجَمِيلِ، وَلُزُومِ الْوَاجِبِ لاتِّبَاعِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ - أَنْ بَشَّرَهُ اللهُ مِنْهُ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَوَعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلَ الثَّوَابِ؛ فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[٣١]. وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾[٣٢]).

قال محمد بن الحسين: (فَكُلُّ كَلاَمِ رَبِّنَا حَسَنٌ لِمَنْ تَلاَهُ، وَلِمَنِ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هَذَا -وَاللهُ أَعْلَمُ- صِفَةُ قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ تَتَبَّعُوا مِنَ الْقُرْآنِ أَحْسَنَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللهِ -تَعَالَى- مِمَّا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مَوْلاَهُمُ الْكَرِيمُ، يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ رِضَاهُ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، سَمِعُوا اللهَ قَالَ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣٣]. فَكَانَ حُسْنُ اسْتِمَاعِهِمْ يَبْعَثُهُمْ عَلَى التَّذَكُّرِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَسَمِعُوا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَالَ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٣٤].

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ عَنِ الْجِنِّ فِي حُسْنِ اسْتِمَاعِهِمْ لِلْقُرْآنِ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِمَا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَوَعَظُوهُمْ بِمَا سَمِعُوا مِنَ الْقُرْآنِ بِأَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[٣٥]. وَقَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ

---

(٢٨) الزمر: ٢٣.

(٢٩) ص: ٢٩.

(٣٠) طه: ١١٣.

(٣١) الزمر: ١٧ - ١٨.

(٣٢) الزمر: ٥٤ - ٥٥.

(٣٣) الأعراف: ٢٠٤.

(٣٤) ق: ٤٥.

(٣٥) الجن: ١ - ٢.

نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾[٣٦]).

قال محمد بن الحسين: (وَقَدْ قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي سُورَةِ ق: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[٣٧]. مَا دَلَّنَا عَلَى عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ وَعَظِيمَ شَأْنِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْجَنَّةَ وَمَا أَعَدَّ فِيهَا لأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٣٨]... إِلَى آخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٣٩].

فَأَخْبَرَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- أَنَّ الْمُسْتَمِعَ بِأُذُنَيْهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مُشَاهِدًا بِقَلْبِهِ مَا يَتْلُو وَمَا يَسْتَمِعُ؛ لِيَنْتَفِعَ بِتِلاَوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَبِالاسْتِمَاعِ مِمَّنْ يَتْلُوهُ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- حَثَّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤٠]. وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[٤١]).

قال محمد بن الحسين: (هَلْ تَرَوْنَ -رَحِمَكُمُ اللهُ- إِلَى مَوْلاَكُمُ الْكَرِيمِ، كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلاَمَهُ؟! وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلاَمَهُ عَرَفَ الرَّبَّ -عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضُّلِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَ مَوْلاَهُ الْكَرِيمُ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَ فِيهِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ عِنْدَ تِلاَوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً، فَاسْتَغْنَى بِلاَ مَالٍ، وَعَزَّ بِلاَ عَشِيرَةٍ، وَأَنِسَ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ تِلاَوَةِ السُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا: مَتَى اتَّعِظُ بِمَا أَتْلُو؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ: مَتَى أَخْتِمُ السُّورَةَ؟!

---

(٣٦) الأحقاف: ٢٩ - ٣١.

(٣٧) ق: ١.

(٣٨) ق: ٣٥.

(٣٩) ق: ٣٧.

(٤٠) محمد: ٢٤.

(٤١) النساء: ٨٢.

وَإِنَّمَا مُرَادُهُ: مِتَى أَعْقِلُ عَنِ اللهِ الْخِطَابَ؟ مَتَى أَضَّجِرُ؟ مَتَى أَعْتَبِرُ؟ لأَنَّ تِلاَوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَةُ لاَ تَكُونُ بِغَفْلَةٍ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ).

وفي المسألة الثالثة: بدأ يذكر المؤلف ثواب تلاوة القرآن، واستشهد بآية سورة فاطر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٤٢]. وهذه الآية سماها أهل العلم: آية القُرَّاء؛ حيث بَيَّن الله -تعالى- فيها الثواب العظيم المترتب للذين يقرؤون القرآن الكريم، ويداومون على تلاوته، ويحافظون على أوامره، ويطبقونها في حياتهم؛ ولهذا ذكر الله -تعالى- الركن الثاني من أركان الإسلام في الأجر والثواب لأهل القرآن، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾. وهذا يدل على أن الذي يقرأ القرآن ويتلوه، عليه أن يعمل به، فمَن تلاه حقَّ تلاوته، دَلَّه إلى العمل، وإلى كل خير من الأعمال الصالحة، ومن أعظمها وأجلِّها الصلاة.

وأجور أهل القرآن عظيمة وكثيرة ومتعددة، أجملها الله -تعالى- في هذه الآية التي هي آية القراء، وسَمَّى قراءةَ القرآن والمداومةَ عليها التجارةَ النافعةَ، وهي التجارة الرابحة، التي لا يتطرق إليها بوار ولا كساد ولا فساد، فالأجر متحقق، والثواب متحقق من الله -جل وعلا، ووعده حق، وكلامه صدق: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤٣].

وبيَّن النبي -عليه والصلاة السلام- تفصيلاً الأجر المترتب على التلاوة بيانًا دقيقًا واضحًا في حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عند الترمذي، قال -عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ فِيهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[٤٤].

---

(٤٢) فاطر: ٢٩ - ٣٠.

(٤٣) الأنعام: ١١٥.

(١) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر (٢٩١٠). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

فإذا كان قارئ القرآن يأجر على تلاوته بالحرف الواحد، وأنه إذا قرأ هذا القرآن حصل على أجور متعددة ومضاعفة من الله -جل وعلا، وإذا كان العلماء قد عَدُّوا آيات القرآن الكريم، وأنها تربو على ستة آلاف، فكيف بالحروف؟!

ومن ثواب هذا القرآن الكريم -أيضًا- أنه يهدي قُرَّاءَه إلى الحق: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾(٤٥). والمسلم يدعو ربه وجوبًا سبعة عشر مرة في كل يوم أن يجعله من أهل الهداية، في قوله -تعالى- في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٤٦). فضلاً عما يقوله في صلوات النوافل وغيرها، فهو يطلب من ربه أن يثبته على طريق المستقيمين الذين أنعم الله -تعالى- عليهم، فهو كتاب هداية.

من الثواب المترتب عليه أنه يهدي صاحبه إلى طريق الحق، ويعصمه من الفتن، ومن الابتلاءات، ومن الزيغ، ومن الضلال، ومن الفساد، ومن الشهوات، ومن الشبهات.

فإذا تلا هذا القرآن حصل له هذا الخير العظيم والثواب الجزيل، وحصل له -أيضًا- الشفاء الحسي والمعنوي الذي يطلبه في حياته، سواء ما يتعلق بالأمراض الروحية أو الأمراض البدنية، فإنه في هذا القرآن الكريم؛ كما قال -سبحانه وتعالى- في الآية التي ذكرها المؤلف: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤٧). وشفاء هنا نكرة؛ فتَعُمّ كل شفاء، وليست معرفة، وهذا من الثواب لقارئ القرآن الكريم.

فإذا تلا المسلم القرآن بنية خالصة لله، وابتغاء الأجر والثواب من الله -تعالى؛ فسوف تشمله إن -شاء الله تعالى- هذه الأجور العظيمة، التي جاءت في هذه الآيات، ومنها: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ

(٤٥) المائدة: ١٦.

(٤٦) الفاتحة: ٦.

(٤٧) الإسراء: ٨٢.

مِّنْهُ﴾[٤٨]. اعتصموا بكتاب ربهم الذي جاءهم من عند الله -تعالى، كما قال -سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[٤٩].

ولهذا نعلم أن القرآنَ الكريم والاعتصامَ به طريقُ الاجتماع والائتلاف، وطريق النصرة والتمكين في هذه الدنيا، وقد فَسَّر العلماء قول الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾. أن المراد بحبل الله: القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: الجماعة، وهذه الأمور كائنة بأهل القرآن؛ الذين تلووا القرآن حق تلاوته، وإذا أقبلوا عليه، وعملوا بما فيه تحصل لهم هذه الأجور العظيمة، والحفظ الكبير من الفتن التي يقع فيها كثير من الناس المعرضين عن هدي القرآن الكريم؛ ولهذا بَيَّن الله -تعالى- في الآية التي ذكرها المؤلف في سورة الزمر أن أهل الإيمان الذين تعلقت قلوبهم بربهم -جل وعلا- هم الذين يتأثرون بهذا القرآن الكريم، وتقشعر جلودهم وأبدانهم، قال الله -تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[٥٠]. أي: إلى هذا القرآن العظيم.

ثم جاءت المسألة التي بعدها، وهي مسألة الاستماع للقرآن الكريم، التي ذكر فيها المؤلف أن الله -تعالى- رَغَّب عباده في الاستماع إلى هذا القرآن الكريم، والاستماع إلى القرآن الكريم هو عمل بما أمر الله -تعالى- به، فضلاً عن تلاوته، فالذي يستمع إلى القرآن الكريم يحصل له الأجر، بخلاف الأجر الذي يقرأ فيه القرآن الكريم، وبهذا يمكن أن نجمل أن الاستماع إلى القرآن الكريم فيه بشارتان:

البشارة الأولى: وتكون في الدنيا، وهي حصول الرحمة لسامع القرآن؛ قال الله -تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥١]. فهذه بشارة من الله -تعالى، وهذه الرحمة إذا حصلت لقارئ القرآن بهذا المسلم فقد حصل له كل خير؛ ولهذا قال -تعالى- في آية أخرى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥٢].

---

(٤٨) النساء: ١٧٥.

(٤٩) آل عمران: ١٠٣.

(٥٠) الزمر: ٢٣.

(٥١) الأعراف: ٢٠٤.

(٥٢) الأعراف: ١٥٦.

فإذا رحم الله -تعالى- عبدَه فقد قربه منه؛ لأن الرحمة تدعو إلى فعل الخير، وأن يرحم الإنسان نفسه أولاً، ويبعدها عن المعاصي والذنوب والسيئات، ويقربها إلى الطاعات والحسنات، ولا يسمح لها أن تقع فيما يخالف أمر الله، ويرحم نفسه بأن تكون وَقَّافَة عند حدود الله، ثم يرحم غيره من عباد الله، وينشر هذه الرحمة التي حصلت له من الله -تعالى- إلى الناس بالتواصل، وفعل الخير، وصلة الأرحام، وحسن الكلام، والتسبيح والتهليل، والرحمة بالفقراء والمساكين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذه الرحمة تجمع الإحسان، فإذا أحسن الإنسان دلَّ على ذلك على الرحمة، فقد قال الله -تعالى- في سورة الأعراف: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٥٣).

فالذي يفعل الإحسان قريب من الله -تعالى، ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. فيرحم نفسه ويرحم غيره، ويحسن في عمله، ويحسن في تعامله، فيكون بذلك قريب من الله -تعالى، فإذا حقق الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين، وإذا حافظ على الصلاة وشعائر الدين، دلَّ على ذلك على الرحمة في قلبه، وأنه قريب من الله -تعالى، وبهذا يدلك على القرب من الله هذه الصلاة الذي يحافظ عليها، فإنه قريب من الله، قال الله -تعالى- لنبيه -عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(٥٤). فإذا أكثرت السجود اقتربت من الله -تعالى، وهذا هو ثمرة الرحمة التي بشر الله -تعالى- بها عباده المؤمنين.

ومن البشارة في الدنيا: حصول الهداية؛ ولهذا بيَّن الله -تعالى- في سورة الزمر -كما ذكر المؤلف- قال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، فثمرة ذلك: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(٥٥)، وتفسير المصنف تفسير لطيف حينما فسر قوله -تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. أي: يتبعون أحسن ما يقربهم إلى الله -تعالى؛ لأن القرآن كله كلام الله -تعالى، وهو حسن، كما قال -سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

(٥٣) الأعراف: ٥٦.

(٥٤) العلق: ١٩.

(٥٥) الزمر: ١٨.

الْقَصَصِ﴾[٥٦]. فالقرآن كله حسن، فتفسير المؤلف بديع ولطيف، حينما قال: يتبعون أحسن ما يقربهم إلى الله -تعالى- من الأعمال الصالحة، فهذه بشارة وهي الهداية.

ولنعلم أن الذي ينال هذه البشارة في حياته لا يتوقف عليها، بل يطلب المزيد والزيادة في هذه الهداية، فإذا حافظ على هذه الهداية في الصلاة والصيام والزكاة والحج وتلاوة القرآن والذكر، وكل عمل خير، رغبت نفسه في الزيادة، ولم يقف عند هذا الحد، وهذا تجده ظاهرًا عند عباد الله الصالحين، الذين يتسابقون في فعل الخيرات، ولا يقفون عند حد، وبهذا إذا حصلت لك الهداية فسوف تدفعك إلى الزيادة، كما قال الله -تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[٥٧]. وقال -تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[٥٨]. يعني: أنهم يزدادون هداية على هداية، فإذا قرأ في الأسبوع -مثلاً- ثلاثة أجزاء، طلب الزيادة بأنه سيقرأ سبعة أو ثمانية أجزاء، إلى أن يختم القرآن في سبعة أيام، أو في ثلاثة أيام، وإذا أقبل على حفظ القرآن، ورغبت نفسه واستنار قلبه بهذا القرآن حفظ جزءًا، ثم تشتاق نفسه إلى حفظ أكثر، وهكذا إلى أن يُتِمَّ القرآن الكريم.

فالعبادة تدعو صاحبها إلى الزيادة، فالحسنة تنادي الحسنة كما أن السيئة -والعياذ بالله- تنادي السيئة، فالسيئة الخبيثة تجر صاحبها إلى سيئة أرفع، ثم إلى سيئة أعلى، ثم إلى سيئة أعظم، إلى أن يألف هذه السيئة، والحسنات كذلك.

فالإنسان يتبع الحسنة الحسنة دائمًا؛ لأن الإنسان لا يخلو من سيئات في حياته، لكن إذا كانت حسناته كثيرة غلبت على السيئات، كما قال الله -تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٥٩]. فاستماع القرآن الكريم يزيد في الهداية بوعد الله -جل وعلا، أيضًا قراءة القرآن الكريم يحصل بها اطمئنان القلب، وهذا من البُشْرى، قال الله -تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٦٠].

---

(٥٦) يوسف: ٣.

(٥٧) محمد: ١٧.

(٥٨) مريم: ٧٦.

(٥٩) هود: ١١٤.

(٦٠) الرعد: ٢٨.

فإذا اطمئن قلبك اطمأننت في هذه الدنيا، ولو كنت فقيرًا أو مريضًا أو مبتلًى، فاطمئنان القلب سعادة عظيمة للإنسان، فإذا كان فقيرًا لا يدخل إليه قلق ولا اضطراب ولا خوف، وإذا كان مريضًا يكثر من تحميد الله -تعالى- وشكره على هذه النعمة، وعلى هذا الابتلاء، فلا يخاف ولا يقلق من الموت، بل اطمئن قلبه، فصارت لديه سعادة وهدوء بال، لا يشعر بها إلا مَن عايشها في حياته، ومن تأمل القرآن الكريم، وَجَد وجوهًا كثيرة لهذه البشرى في هذه الحياة الدنيا لمن يستمع القرآن الكريم.

ولا أدَلَّ على ذلك مما ذكره الله -تعالى، وساقه المؤلف من الجن المكلفين بعبادة ربهم، أولئك النفر الذين جاؤوا إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو يقرأ، واستمعوا إلى تلاوته، وأثر فيهم ذلك القرآن الكريم، فانطلقوا إلى قومهم يبلغون هذا القرآن الكريم، وشهدوا بأنه مصدق لما بين يديه.

إذن حينما سمعوا القرآن ازدادوا، ولم يكتفوا بالسماع فحسب، بل ضموا إلى ذلك أن بَلَّغوا قومهم، ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾[٦١] ، فرجعوا إلى قومهم وبلغوهم ما سمعوه، وهذه هداية، وهي أن الله -تعالى- يوفق العبد ويهديه إلى أن يبلغ ما تحمله من علم وأمانة، ولا يكتفي به لنفسه، وهذا من حب الخير وفعله بإخوانك المسلمين.

البشارة الثانية: وتكون في الآخرة، وتقدمت البشارة الأولى وهي في الدنيا، ولها وجوه متعددة ذكرتُ بعضها، وفي الآخرة أيضًا لها وجوه متعددة منها: أن صاحب القرآن الذي قرأ القرآن واستمع إليه، يخاطب يوم القيامة، ويقال له: اقرأ وارقِ ورَتِّل كما كنت ترتل في الدنيا[٦٢]، وأنه يوم القيامة في ذلك اليوم العظيم، تأتيه سورة البقرة وسورة آل عمران -وهما الزهراوان- كما أخبر بذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- تأتيان في ذلك اليوم العظيم كالغمامتين أو كالغيايتين تُحَاجَّان عن صاحبهما[٦٣]، وقد جاء في بعض الأحاديث أن القرآن يأتي يوم القيامة بلسان وعينين يحاجُّ عن صاحبه، وهذا من البشارة له في الآخرة.

---

(٦١) التوبة: ١٢٢

(٦٢) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦٧٩٩)، أبو داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة (١٤٦٤)، الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من كتاب الله ما له من الأجر (٢٩١٤)، قال الترمذي: حسن صحيح، من حديث عبد الله بن عمرو، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

(٦٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي.

ومن البشارة أيضًا: أنه -أي القرآن- يكون شفيعًا له يوم القيامة، كما جاء في الحديث: «الْقُرْآنُ وَالصِّيَامُ يَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا، فَالْقُرْآنُ يَقُولُ: حَرَمْتُهُ النَّوْمَ فِي اللَّيْلِ. وَالصِّيَامُ يَقُولُ: أَظْمَأْتُهُ فِي النَّهَارِ وَجَوَّعْتُهُ فِيهِ، فَيَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٦٤). وهذه من البشارة العظيمة لأهل القرآن: التالين له، والمستمعين.

ثم تأتي المسألة الأخرى، وهي: التمثيل الذي ذكره المؤلف، وقد اكتفى بتمثيل سورة واحدة من سور القرآن الكريم، وهي سورة ق؛ وبَيَّن المؤلف بعضًا من مقاصدها وموضوعاتها التي جاءت فيها، والوجوه -والله أعلم- أن هذه السورة سورة عظيمة، كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يحافظ عليها ويقرأها، فقد قرأها في صلاة الجمعة، وقرأها في العيدين، وقرأها في صلاة الفجر؛ لما فيها من المواعظ والعبر والقصص، وفيها: إشادة بالقرآن الكريم وبيان فضله، وفيها: ذكر البعث والنشور، وإقامة الحجة على المشركين الذين أنكروه، وفيها: ذكر لبعض الأمم وقصصهم، وفيها: مِنَن من الله -تعالى- على عباده، مثل: هذه الأرض وهذه السماء، فالسماء تمطر، والأرض تنبت، وفيها: تذكير بالخلق الأول، ونهاية الناس في هذه الحياة الدنيا وهو الموت، وذكر الله -تعالى- فيها المحاضرة بين القرينين، وذكر الله -تعالى- فيها أيضًا: الجنة والنار، وما أعده الله -تعالى- لأهل الجنة، وما أعده الله لأهل النار، وخلق السماوات والأرض، ثم ختمها بما بدأها أيضًا، قال: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾(٦٥). وقال في آخرها: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٦٦).

فبدأها بالقرآن، وختمها بالقرآن الكريم، فتأمل في مثل هذه السورة، وما فيها من المواعظ، وما فيها من العبر، وما فيها من المناسبات والدلالات العظيمة، فعلى الإنسان أن يقرأها، ويقرأ ما جاء فيها من التفسير؛ حتى يقف على المعاني، ويتدبر ذلك.

---

(٦٤) حسن صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦٦٢٦)، الحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح.

(٦٥) ق: ١.

(٦٦) ق: ٤٥.

من المسائل أيضًا: الحث على تدبر هذا القرآن العظيم الذي أنزله الله، وبَيَّن فضله وشرفه، وبَيَّن مكانته وقدره، وأمرنا بأن نتدبره، والتدبر هو التفكر والتأمل والتذكر لما في هذا القرآن من العبر والمواعظ والأوامر والنواهي والقصص، وما جرى للأقوام السابقة، وما أعده الله لأهل الإيمان، وما توعد به أهل الكفر.

فالذي يقرأ القرآن عليه أن يقرن ذلك بالتدبر كما قال الله -تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[٦٧]، وقال -تعالى- منكرًا على أولئك القوم على المنافقين الذين أعرضوا عن القرآن: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[٦٨]، وكذلك أنكر عليهم استفهام إنكار فقال في سورة محمد: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٦٩]، وهاتان الآيتان جاءتا في سياق ذكر أحوال المنافقين الذين يستمعون ولا ينتفعون، فكانوا يجلسون مجلس النبي -عليه الصلاة والسلام- ويستمعون القرآن والمواعظ، لكنهم معرضون بقلوبهم، فإذا خرجوا كما أخبر الله: ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾[٧٠]، ماذا قال حين في كلامه؟! ألم تعلموا ما تكلم به وهو كلام عربي تعرفونه فكيف لا تفهمونه؟! إذن هم أعرضوا عن القرآن وأعرضوا عن أمر الله -تعالى-؛ ولهذا فإن التدبر الوارد في قوله -تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[٧١]، يحتمل أمرين:

الأمر الأول: أن القارئ عليه أن يتدبر المعاني والدلالات والمقاصد التي أرشد الله -تعالى- عباده إليها، وهي كثيرة، فكل هذا الدين قائم عليها؛ كالصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة التوحيد ونبذ الشرك ونبذ الفسق والنفاق، هذه أوامر فلا يليق بقارئ القرآن أن يخالفها، فهو يقرأ قوله -تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٧٢]، ثم هو يكذب في حديثه، فهذا لم يتدبر القرآن، فمهما كانت الأحوال فإنه لا يكذب

---

(٦٧) ص: ٢٩.

(٦٨) النساء: ٨٢.

(٦٩) محمد: ٢٤.

(٧٠) محمد: ١٦.

(٧١) ص: ٢٩.

(٧٢) التوبة: ١١٩.

في الحديث بل عليه أن يصدق؛ لأن الصدق صفة أهل الإيمان؛ ولهذا ذكر الله -تعالى- في هذه الآية الإيمان وصفة أهل التقوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

فالصادق في قوله اتصف بصفة التقوى والإيمان، والأمثلة على هذا كثيرة في القرآن الكريم، لكن هذا نوع من أنواع تدبر المعاني والدلالات والمقاصد لكل ما يقرأه الإنسان، لا أن يقرأ حروفًا وكلمات فحسب، وإنما يقرأ كلام الرب -جل وعلا- ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ولاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٧٣].

الأمر الثاني: وهو أن يتأمل القارئ دلالة بلاغة القرآن الكريم في اللفظ، وأنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق فيما قال، إذن نتأمل بلاغة هذا القرآن الكريم، وأنه جاء على أفصح اللغات، فلا يدانيه كلام ولا تدانيه بلاغة ولا فصاحة ولا بيان؛ ولهذا فالله -جل وعلا- تحدى العرب وهم اللد البلغاء والألسن الفصحاء أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقال -تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٧٤]، أي: معينًا في البيان والبلاغة وتنميق العبارات، وهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله.

ولهذا إذا وقفت على آيات جامعة مانعة لها دلالة عظيمة كقوله -تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[٧٥]، إذا وقفت على هذه الآية تجدها قد جمعت معاني عظيمة ودلالات كبيرة، والعرب كانوا يقولون: القتل أنفى للقتل، والآية جاءت بشيء أوسع وأعم وأشمل من هذا، حياة للناس جميعًا، حياة لهم في أنفسهم وفي دينهم وفي أموالهم وفي اجتماعهم وفي سياستهم وفي أمنهم وفي أوطانهم، في كل شأن من شؤون الحياة؛ ولهذا فالله -سبحانه وتعالى- ذكر الحياة فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، وأيضًا الحياة نكرة وليست معرفة، لو كانت معرفة لكانت محصورة على جزء من الحياة، لكن اللفظ جاء نكرة فتذهب فيه النفس كل مذهب من أنواع الحياة التي تخطر ببال الإنسان، فألفاظه قليلة وعباراته معانيها عظيمة.

---

(٧٣) فصلت: ٤٢.

(٧٤) الإسراء: ٨٨.

(٧٥) البقرة: ١٧٩.

هذا نوع من التدبر؛ ولهذا هنا فائدة في التدبر: أن التدبر للقرآن الكريم يورث العلم، كيف يكون ذلك؟ لا يحصل لك علم بالقرآن الكريم وما فيه من الهداية والدلالات إلا بالتدبر والتأمل والتفكر، فإذا تدبرت هذه الآيات ازددت علمًا، ومعنى التدبر أنك إذا قرأت الآية فاذهب واقرأ تفسيرها في كتب التفسير، وراجع ما قاله أهل العلم من الصحابة والتابعين أولاً من تفسير القرآن، فكل آية لها تفسير تأخذه من القرآن أو من السنة أو من أقوال الصحابة أو من أقوال التابعين أو من الاستنباطات التي يستنبطها أهل العلم في كتبهم ومؤلفاتهم في التفسير، فيزول عنك الإشكال وتزداد بذلك العلم؛ ولهذا قالوا: التدبر يورث العلم، ذكر هذا ابن القيم(٧٦) -رحمه الله تعالى.

كما أن اتباع القرآن يورث العمل، فنحن بين تدبر وبين اتباع، قال الله -تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾(٧٧)، وقال -تعالى- في آية أخرى عن الاتباع: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾(٧٨)، وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٧٩)، فرتب على الاتباع حصول التقوى فقال: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

فاتباع القرآن الكريم يدفعك إلى العمل به، هذا هو الاتباع الحقيقي، فالاتباع ليس أقوالاً جوفاء فحسب، وإنما هو أعمال، فإذا حرم الله -تعالى- عليك الربا، فاتبع هذا الأمر، ولا تحدثك نفسك أو تميل بك شهوتك في الدنيا وحب المال إلى أن تقترف هذا المحرم.

فالربا حرمه الله -تعالى- بكل صوره فقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾(٨٠)، فمن كانت تنازعه نفسه بين ربا أو غيره فإذا جاءه أمر القرآن ترك الربا، ولا يتردد في ذلك، واتبع أمر الله -تعالى- وسلك المسلك الصحيح، وهذا الأمر وقع فيه في هذا الزمن كثير من الناس؛ ولهذا بيَّن الله -جل وعلا- في آيات الربا دلالات عظيمة لمن تأملها لأن ذلك:

---

(٧٦) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(٧٧) ص: ٢٩.

(٧٨) الأعراف: ٣.

(٧٩) الأنعام: ١٥٥.

أولاً: مرتبط بالإيمان بالله، فمن ارتكب شيئًا من المعاملات الربوية فقد خالف مقتضى الإيمان، ورد هذا في آيتين من القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾(٨١)، فصدرها بالإيمان، وقال -تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾(٨٢).

ثانيًا: أنه -تعالى- ذكرنا باليوم الآخر في آخر السياق فقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهَّ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾(٨٣)، وأنه سيكون هناك حساب وعقاب ومسائلة على هذا العمل وعلى هذا الفعل، فالإنسان يتبع القرآن، فالاتباع يورث العمل، والتدبر يورث العلم، فإذا أردت أن تعلم ما في هذا القرآن من الدلالات والمعاني والدقائق ولطائف التفسير عليك بالتدبر وقراءة التفسير حول هذه الآيات التي تقرأها.

لذا؛ يقول المؤلف: (منْ تَدبرَ كلامَه -أي كلام ربه- عَرفَ ربَّه -عزّ وجلّ)، أي: حق المعرفة، فعظم الله في نفسه؛ لأنه يقرأ كلام ربه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وعظَّم كلامه -جل وعلا- وعظَّم أمره ونهيه، لأنه إذا تدبر القرآن واتبعه وعمل بما فيه أعزه الله ولو كان ذليلاً، وأغناه ولو كان فقيرًا، ورفعه ولو كان حقيرًا، هكذا يكون أهل القرآن دائمًا، فهم مرفوعون عند الله في الدنيا وفي الآخرة، قال الله -تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٨٤).

قال أهل العلم: إن المراد بهم أهل القرآن، كما ذكر ذلك أهل التفسير، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال في صحيح مسلم في قصة عمر بن الخطاب: «إِنَّ اللهَّ لَيَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(٨٥)، إذا كان ثمة تدبر واتباع للقرآن الكريم فثم السعادة حينئذ والحياة الطيبة.

---

(٨٠) البقرة: ٢٧٥.

(٨١) آل عمران: ١٣٠.

(٨٢) البقرة: ٢٧٨.

(٨٣) البقرة: ٢٨١.

(٨٤) المجادلة: ١١.

(٨٥) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يؤم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمه، (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه.

قال المؤلف -رحمه الله: (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لاَ تَنْثِرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ وَلاَ تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلاَ يَكُونُ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ)[٨٦]

شرع المؤلف في ذكر الأحاديث والآثار المروية في أخلاق حملة القرآن الكريم، وقد ذكر ثمانية أبواب في هذا الكتاب في بيان فضل أهل القرآن وأخلاقهم وأخلاق القارئ وآداب القارئ والمقرئ والتحذير من اتخاذ هذا القرآن رياء وسمعة، فبدأ بالأثر عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- وهذا الأثر أصله في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ مختلفة، أما هذا الأثر فقد أخرجه أبو داود وأحمد، وذكر عبد الله بن مسعود هنا طريقة من طرق قراءة القرآن الكريم، لكنه حذر منها ونهى عنها؛ وهي طريقة الهذ أو الهذرمة في القرآن الكريم، والهذ هو قراءة القرآن الكريم على وجه السرعة بلا تأمل ولا تدبر، وقد يكون في هذه القراءة إخلال بالآيات أو إسقاط لبعض الحروف بسبب العجلة في القراءة؛ ولهذا نهى عبد الله بن مسعود أن يهذ كهذ الشعر؛ لأن الشعر يلقى بعجلة وسرعة بلا تأمل ولا تدبر، وإنما هم الشاعر أن يلقي هذه الكلمات المنمقة بصوته ليظهر الفصاحة والبيان والمعاني فيما يقوله دون أن يتأمل أو يتدبر، قال: (لاَ تنثرُوهُ نثرَ الدقلِ)، أي: لا تنثروا القرآن، والضمير عائد إلى قراءة القرآن الكريم، والدقل هو رديء التمر أو هو اليابس منه؛ لأن التمر اليابس إذا نثر خرجت له أصوات وتتابع بعضه مع بعض بسرعة كما يكون في الشعر، فنهى القارئ أن يهذه هذ الشعر أو ينثره نثر الدقل، بل أمر -رضي الله عنه- القارئ أن يقف عند هذه الكلمات القرآنية ويتأملها ويعلم ما فيها من العجائب والدلالات والمعاني والهدايات، وأن يتحرك قلبه كما يتحرك لسانه بهذه التلاوة، فإذا قرأ القرآن الكريم فعليه أن يستشعر هذا القرآن فيتأثر به قلبه وبدنه، قال -تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٨٧].

ولا يحرص الإنسان على أن ينهي السورة أو الجزء أو الحزب في وقت سريع دون تأمل ولا تدبر، فهذا ورد النهي عنه؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾[٨٨]، أي: يعملون به حق العمل.

---

(٨٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٧٣٣).

(٨٧) الزمر: ٢٣.

(٨٨) البقرة: ١٢١.

قال المؤلف -رحمه الله: (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لاَ تَنْثِرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ وَلاَ تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلاَ يَكُونُ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ)[٨٩].

ومن خلال هذا الأثر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- يجرنا إلى ذكر مراتب التلاوة، فإذا كان عبد الله بن مسعود نهى عن هذه الطريقة في التلاوة؛ وهي الهذ أو الهذرمة أو النثر، إذن فما الطريقة الصحيحة في تلاوة القرآن الكريم؟

ومن خلال هذا الأثر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- يجرنا إلى ذكر مراتب التلاوة، فإذا كان عبد الله بن مسعود نهى عن هذه الطريقة في التلاوة؛ وهي الهذ أو الهذرمة أو النثر، إذن فما الطريقة الصحيحة في تلاوة القرآن الكريم؟

ذكر العلماء أربع مراتب لتلاوة القرآن، هي: الترتيل، ثم التحقيق، ثم الحدر، ثم التدوير.

المرتبة الأولى: الترتيل، هي المرتبة التي جاء بها القرآن الكريم، والترتيل يعني الترسل في التلاوة والتأني والتمهل، والتبيين بألفاظ القرآن الكريم كما قال الله -تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[٩٠]، أي: بينه تبيينًا، وقال -سبحانه: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٩١]، وقال -جل ذكره: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾، أي: على تمهل، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[٩٢]؛ ولهذا لما نزل القرآن الكريم على النبي -عليه الصلاة والسلام- بادر بالعجلة في التلقي محبة في هذا القرآن وخوفًا ألا يضيع منه شيء، قال الله -تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[٩٣].

فالله يأمر نبيه أن يقرأ كما يقرأ جبريل -عليه السلام، فجبريل يقرأ ثم هو يتلقى، كما قال الله -تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[٩٤]، فالترتيل هو التأني والتمهل والترسل في التلاوة، وقال -تعالى: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ

---

(٨٩) ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٧٣٣).

(٩٠) المزمل: ٤.

(٩١) الفرقان: ٣٢.

(٩٢) الإسراء: ١٠٦.

(٩٣) القيامة: ١٦-١٨.

(٩٤) النمل: ٦.

بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[٩٥]، أي: لا تعجل في قراءته، ولا تعجل في تلقيه، فأمره ربه -جل وعلا- أن يطمئن في الأخذ وفي التلاوة؛ لأن ترتيل القرآن الكريم بهذه الصورة التي فيها التأني والتمهل والترسل ثمرتها أن يتدبر القارئ ما يقرأ، وأن يفهم ويتأمل ثم بعد ذلك يعمل بما قرأ، فترتيل القرآن الكريم هو الذي جاء في القرآن، وهو الذي فعله النبي -عليه الصلاة والسلام- وحث أصحابه عليه لما فيه من الحكم والفوائد.

المرتبة الثانية: التحقيق، والتحقيق مرتبة قريبة من الترتيل، لكن التحقيق يستعمل في رياضة اللسان، وفي مقام التعليم وفي بيان مخارج الحروف وصفاتها، وفي زيادة ضبط وتعليم، فهو يقوم في مقام التعليم، فيعلم القارئ من يقرأ عليه كيف ينطق الحرف، ويعلمه كيف يخرج هذا الحرف، ومن أي مخرج هو؟ مثل أن يقول: إذا أردت أن تعرف مخرج الحرف فسكِّنه، وأدخل عليه همزة القطع، فستعرف مخرج هذا الحرف، مثلاً: القاف، أدخل عليها همزة قطع وسكنها فتقول: (أَقْ)، فهي من أقصى الحلق، وفي الباء: (أَبْ)، فهي من طرف اللسان، حينئذ يبدأ في القراءة، فإذا قرأ مثلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، فهو يقول لهم: بِسم الله، (يوضح الكسرة)، ولا يقول، بَسم الله (الكسرة غير واضحة)، فهو يبين كسرة الحرف وفتحته وضمته، وكان المتقدمون في السابق يكتبون قواعد تسمى بالقاعدة البغدادية ويكتبون كل حرف ثلاثة مرات:

الكتابة الأولى فتحة، والثانية ضمة، والثالثة كسرة؛ وبذلك أتقنوا الحروف وأتقنوا ضبطها ومخارجها ومعرفة مخرج كل حرف، فهذا يدخل في التحقيق، والعلماء قد تكلموا عن مخارج الحروف وصفاتها، وبينوا عدد مخارج الحروف، وبينوا عدد صفاتها، فهذا من الأهمية بمكان لقارئ القرآن أن يعرف هذه المخارج في مقام الإقراء وفي مرتبة التحقيق، فضبط القراءة وإتقانها وتجويدها لا يكون إلا في مرتبة التحقيق؛ ولهذا فالتحقيق داخل في الترتيل، فالذي ضبط التحقيق يستطيع أن يقرأ قراءة مرتلة ولا يخل بشيء من الأحرف ولا الكلمات.

ومن مقامات التحقيق أنه يتعرض للوقف والابتداء، فيعرف متى يقف، ومتى يبتدئ، ومتى يصل... إلى غير ذلك من الأمور متعلقة بالتحقيق، وبعض أهل العلم لم يفرق بين الترتيل والتحقيق، وجعلهما مرتبة واحدة، وسأذكر كلام أهل العلم وأيهما أفضل، بعد سياق هذا العرض.

---

(٩٥) طه: ١١٤.

المرتبة الثالثة: الحدر، وهو السرعة في القراءة مع المحافظة على أحكام التلاوة، وفيه تكثير للحسنات؛ لأن الإنسان يقرأ كثيرًا إذا حدر، فإذا قرأ كثيرًا أخذ أجرًا كثيرًا، كما تقدم في الحديث أن قارئ القرآن يؤجر على كل حرف من أحرف القرآن الكريم.

والمرتبة الرابعة: التدوير، وهو حالة متوسطة بين مرتبة الترتيل ومرتبة الحدر، ويكون مع المحافظة على أحكام الحروف والوقف والابتداء والمخارج والصفات، وأكثر أهل الأداء أخذوا بهذا النوع من أنواع مراتب القراءة وهو التدوير، ونقل ذلك ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتاب زاد المعاد، وبنى على ذلك مسائل.

إذن علمنا أن مراتب القراءة هي: الترتيل والتحقيق والحدر والتدوير، فالترتيل فيه تأنٍ في التلاوة، والحدر: فيه سرعة مع ضبط، والسؤال الآن: أيهما أفضل؛ الترتيل أم الحدر؟

ذكرنا في أول الكلام أن الترتيل يصحبه التدبر والتأمل والتفكر، وهذا هو المقصود من التلاوة، أما الحدر فإن فيه كثرة ثواب لكثرة القراءة، إذن يوجد مذهبان لأهل العلم في هذه المسألة: ما الأفضل الترتيل أم الحدر؟ ذهب عبد الله بن مسعود -كما سبق في الأثر- وابن عباس -رضي الله عنهما- وغيرهما من الصحابة والتابعين إلى أن الترتيل مع قلة القراءة أفضل من الحدر الذي فيه سرعة للقراءة، واحتجوا بحجج منها: أن المقصود من القراءة هو: الفهم والتدبر والفقه والعمل بما يقرأ، وليس الكثرة، وتلاوته بتأنٍ وتدبر وسيلة إلى فهم معانيه، وهذا يكون في التأني، والقرآن الكريم كما هو معلوم نزل ليعمل به لا أن يكون يقرأ فقط.

وقال بعض السلف: نزل ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً، فأهل القرآن المتدبرون لآياته ومعانيه هم العالمون بآياته العاملون بما فيه وإن لم يحفظوه كله عن ظهر قلب، وهذا كان حال الصحابة، فالصحابة لم يحفظوا القرآن كلهم، وإنما حفظه بعضهم، لكن الذي يحفظ القرآن ويكثر من تلاوته وهو لا يفهمه ولا يعمل به فليس من أهل القرآن الذين ورد فيهم الفضل، وترتب على قراءتهم الأجر؛ ولهذا تعلمون أن فرقة الخوارج كانوا أهل قرآن، وكانوا يقرؤون القرآن ويكثرون من تلاوته، ولكنه لا يجاوز حناجرهم ولا تراقيهم، ولكنهم يكثرون من التلاوة ولا يعلمون بما فيه؛ ولهذا وقعوا فيما وقعوا فيه من المخالفات؛ لأنهم لم يعملوا به، فهذا وجه من وجوه الترجيح أو في بيان فضل الترتيل على الحدر.

وقالوا أيضًا: إن القرآن جاء بهذا قال -تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٩٦] وقال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[٩٧]، فهنا جاء بالفعل ثم أكده بعد ذلك بالمصدر، فقال -تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، وهذا التأكيد للثبات على هذا النوع من أنواع القراءة، وأن يداوم الإنسان عليه؛ لأنه وسيلة إلى التدبر والفهم، وقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يقرأ كذلك، كما نقل عنه -عليه الصلاة والسلام- في أحاديث كثيرة تقول حفصة -رضي الله عنها- كما في صحيح مسلم: "كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها"[٩٨]، ولما سئل أنس[٩٩] -رضي الله عنه- عن قراءة النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: "كانت قراءته مدا"[١٠٠]، فيمد الرحيم، وهذا مد عارض للسكون، وفيه ثلاثة أوجه: القصر والتوسط والمد، ونقل كثير من الصحابة -رضوان الله عليهم- صفة قراءة النبي -عليه الصلاة والسلام- كما نقلت ذلك أيضًا أم سلمة[١٠١].

والقول الثاني: ذهب إليه بعض أهل الأداء وبعض أصحاب الشافعي ورجحوا أن الحدر أفضل، قالوا: لأن فيه كثرة للقراءة وكثرة القراءة أفضل حينئذ، واحتجوا على ذلك بما ورد في الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود وصححه الترمذي أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ-

---

(٩٦) الفرقان: ٣٢.

(٩٧) المزمل: ٤.

(٩٨) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائما وقاعدا وفعل بعض الركعة قائما (٧٣٣).

(٩٩) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الانصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم، وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتا، وروى عنه علما جما، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة. دعا له النبي بالبركة، فرأى من ولَده وولَدِ ولَدِه نحوا من مئة نفْس. مات سنة إحدى وتسعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٥٣ ترجمة ٤٣)، والإصابة (١/ ١٢٦ ترجمة ٢٧٧).

(١٠٠) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة (٥٠٤٥، ٥٠٤٦).

(١٠١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٢٦٥٨٣)، وأبو داود، كتاب الحروف والقراءات باب استحباب الترتيل في القراءة (١٤٦٦)، والترمذي: كتاب القراءات عن رسول الله، باب في فاتحة الكتاب (٢٩٢٧)، قال الترمذي: حسن صحيح، والنسائي كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت (١٠٢٢، ١٦٢٩)، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[١٠٢]، وقالوا: لأن بعض السلف كان يكثر من القرآن، بل بلغ الأمر ببعضهم إلى أن يختم في الليلة، بل زاد على ذلك أن يختم في ركعة، كما ورد ذلك عن عثمان -رضي الله عنه- فقد ورد أنه أحيا القرآن كله في ركعة[١٠٣]، وورد عن تميم الداري[١٠٤] أنه قرأ القرآن في ليلة[١٠٥]، وورد عن سعيد بن جبير[١٠٦] أنه أيضًا قرأ القرآن في ركعة[١٠٧]، وورد أيضًا عن علقمة بن قيس[١٠٨] من أكابر تلامذة عبد الله بن مسعود أنه ختم القرآن في ليلة[١٠٩]، قالوا: لأن هذا كان من عادة السلف أنهم يقرؤون القرآن كثيرًا، وهذه الروايات عن هؤلاء الصحابة والتابعين أخرجها أبو عبيد في فضائل القرآن، وأخرجها أيضًا البيهقي، وأخرجها ابن ماجه، وقد صحح أسانيدها ابن كثير في فضائل القرآن في مقدمة التفسير، وقال الذهبي معلقًا على ذلك: هذا خلاف السنة.

---

(١٠٢) صحيح: أخرجه الترمذي كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر (٢٩١٠) وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

(١٠٣) أخرجه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن" (٢٣٦)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٧١٠، ٣٧٢٠، ٨٦٨٠).

(١٠٤) تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة، أبو رقية الداري، اللخمي، الفلسطيني. صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم. والدار بطن من لخم، ولخم: فخذ من يعرب بن قحطان. كان نصرانيا، ووفد تميم الداري سنة تسع، فأسلم، فحدث عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- على المنبر بقصة الجساسة في أمر الدجال. كان عابدا تلاًّءً لكتاب الله. يقال: وُجد على بلاطة قبر تميم الداري: مات سنة أربعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٩٧ ترجمة ٢٣٨)، وأسد الغابة (١/ ٤٢٨ ترجمة ٥١٥).

(١٠٥) أخرجه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن" (٢٣٨)، ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧١١).

(١٠٦) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام. روى عن ابن عباس فأكثر وجود. وكان من كبار العلماء. قرأ القرآن على ابن عباس. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه. مات سنة خمس وتسعين. انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٣٥٨ ترجمة ٢٢٤٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١ ترجمة ١١٦).

(١٠٧) أخرجه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن" (٢٣٩)، ابن أبي شيبة في المصنف (٨٦٧٩).

(١٠٨) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان، أبو شبل النخعي الكوفي. فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، لازم ابن مسعود حتى ترأس في العلم والعمل. مات بعد سنة ستين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عابد. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٠٠ ترجمة ٤٠١٧)، والسير (٤/ ٥٣ ترجمة ١٤).

(١٠٩) أخرجه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن" (٢٤٠)، ابن أبي شيبة في المصنف (٨٦٨١، ٨٦٨٢).

إذن هؤلاء الصحابة أو التابعون اجتهدوا في طلب الخير، وفي التزود من قراءة القرآن الكريم، لكن السنة جاءت بخلاف ذلك، وهذا يظهر لك جليًّا وواضحًا في وصية النبي -عليه الصلاة والسلام- لعبد الله بن عمرو بن العاص حينما جاءه قال له -عليه الصلاة والسلام: «كَمْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟». قال: أقرأه في ليلة، قال: «اقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ». قال: إني أطيق أكثر من ذلك، حتى أوصله -عليه الصلاة والسلام- إلى سبع ليال[١١٠].

قال العلماء: هذه مدة كافية لمن أراد أن يختم القرآن الكريم وهو يتأمل ويتدبر ما فيه من المعاني، فالأخذ بوصية النبي -عليه الصلاة والسلام- أولى حينئذ، وإن كان بعض الصحابة والتابعين اجتهدوا وقرؤوا القرآن في ليلة كاملة، ولكن فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- وتوجيهه لعبد الله بن عمرو بن العاص هو الأولى في الأخذ، وورد في بعض الروايات أنه يختمه في ثلاث ليال كما سيأتي.

إذن القول المختار والصواب أن ثواب قراءة الترتيل والتدبر الترتيل المقرونة بالتدبر والتفهم والفقه أعلى وأجل أرفع قدرًا من القراءة بالحدر، ولكن في كلٍّ خير، قالوا: إن قراءة الحدر أكثر عددًا وقراءة الترتيل أكثر ثوابًا، ومثلوا لذلك بمثال وهو: أن يكون لدى الإنسان جوهرة فيبيعها بألف، هذا هو الترتيل، وإنسان عنده أربع جواهر وباعها بألف أيضًا، لكن هذه عددها خمس وهذه واحدة، أو كأن يكون إنسان عنده عبد نفيس يبيعه بألف وآخر عنده خمسة من العبيد فيبعهم بألف أيضًا؛ لأن ذاك أنفس منهم وأعلى عنده.

فلا يقال إن الحدر مردود ولا يقرأ به إنسان،بل أخذ به أكثر أهل الأدب، فقد أخذ به ابن كثير[١١١] والكسائي[١١٢] وأبو عمرو البصري[١١٣] في بعض الروايات عنه، فلهذا فضله ولهذا فضله، لكن أيهما أولى؟ الأولى الترتيل؛ لأن الترتيل

---

(١١٠) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن باب في كم يقرأ القرآن وقول الله -تعالى: ﴿فاقرءوا ما تيسر منه﴾ (٥٠٥٢، ٥٠٥٤). مسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به (١١٥٩).

(١١١) الإمام العلم مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة. عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز، أبو معبد الكناني، وقيل: أبو عباد، وقيل: أبو بكر الداري المكي الفارسي الأصل. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. مات سنة عشرين ومئة، انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٤٦٨ ترجمة ٣٤٩٩)، وسير أعلام النبلاء (٥ / ٣١٨ ترجمة ١٥٥).

(١١٢) الإمام، شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن علي بن حمزة، بن عبد الله، بن بهمن، بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي، الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه. واختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى السبع وجالس في النحو الخليل، وسافر في بادية الحجاز مدة للعربية. قال الشافعي: من

هو فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو الذي نزل به القرآن الكريم، وفي الترتيل معرفة المواقف على الآيات، والنبي -عليه الصلاة والسلام- كان يقف على رؤوس الآيات حتى ولو اختلف المعنى، ولكن كيف يختلف المعنى؟

تأتي آية مرتبطة في المعنى بالتي بعدها في مثل قوله -تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[١١٤]، فهذا وعيد للمصلين، لكن هل هو لكل المصلين؟ هذا لبعض المصلين المخالفين وهم الساهون في صلاتهم؛ ولهذا قال -تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾[١١٥].

وحينئذ على القارئ أن يقرأ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾، ويقف، ثم يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فيجمع بين الأمرين؛ بين السنية في الوقف على رؤوس الآيات، وبين ارتباط معنى الآية، ومثل قوله -تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١١٦]، إذا قال ذلك وسكت لم يتم المعنى، وهو قد وقف على رأس الآية، ولا يتم المعنى إلا بقوله -تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾[١١٧]، فيقول القارئ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، ويقف، ثم يرجع ويقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾، فجمع بين الوقف على رؤوس الآيات وبين اتصال المعنى.

أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي. قال ابن الانباري: اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وأوحد في علم القرآن. كان ذا منزلة رفيعة عند الرشيد، وأدب ولده الأمين. مات بالري بقرية أرنبوية سنة تسع وثمانين ومئة عن سبعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣١ ترجمة ٤٤)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ١٢٠ ترجمة ٤٥).

(١١٣) أبو عمرو ابن العلاء بن عمار، بن العريان التميمي، ثم المازني البصري شيخ القراء، والعربية. وأمه من بني حنيفة. اختلف في اسمه على أقوال؛ أشهرها: زبان، وقيل: العريان. مولده في نحو سنة سبعين. قرأ القرآن على سعيد بن جبير. ومجاهد، ويحيى بن يعمر، وعكرمة، وابن كثير، وطائفة. واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم. وكان أعلم الناس بالقراءات والعربية، والشعر، وأيام العرب. قال ابن حجر في التقريب: ثقة من علماء العربية. توفي سنة أربع وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ١٢٠ ترجمة ٧٥٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٧ ترجمة ١٦٧).

(١١٤) الماعون: ٤.

(١١٥) الماعون: ٤-٥.

(١١٦) الرحمن: ٢٦.

(١١٧) الرحمن: ٢٧.

ولهذا أكثر السلف من الصحابة التابعين رأوا قراءة الترتيل، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه جاءه أبو جمرة واسمه نصر بن عمران البصري(١١٨) وقال: إني رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين، فقال ابن عباس: "لأن أقرأ سورة واحدة أعجب إلي -وفي رواية أحب إلي- من أن أفعل ذلك الذي تفعله، فإن كنت فاعلاً ولا بد فاقرأ قراءة تسمع أذنيك ويعيها قلبيك(١١٩)". وهذا عند ابن أبي شيبة.

وقال إبراهيم(١٢٠): قرأ علقمة على ابن مسعود -وكان حسن الصوت- فقال: "رتل فداك أبي وأمي فإنه زَيْنُ القرآن"(١٢١)، واستدلوا أيضًا بحديث عبد الله بن مسعود بقوله هذا المتقدم، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى(١٢٢): دَخَلَتْ عليَّ امرأة وأنا أقرأ سورة هود، فقالت: يا أبا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة هود! والله إني فيها منذ ستة أشهر وما فرغت من قراءتها(١٢٣)!فهذه الآثار تدلك على أن قراءة الترتيل هي الأولى حينئذ، وأن ما ذهب إليه ابن مسعود وعبد الله بن عباس وآخرون من السلف في الأخذ بالترتيل هو الأولى؛ لأنه يكون مصحوبًا بالتدبر والفهم والفقه ومعرفة المعنى

---

(١١٨) أبو جمرة نصر بن عمران الضبعي البصري، أحد الأئمة الثقات. حدث عن: ابن عباس، وابن عمر، وزهدم الجرمي، وعائذ بن عمرو المزني، وطائفة. حدث عنه أيوب السختياني، ومعمر، وشعبة، والحمادان، وإبراهيم بن طهمان، وعباد بن عباد المهلبي، وآخرون. استصحبه معه الأمير يزيد بن المهلب إلى خراسان، فأقام بها مدة، ثم رجع إلى البصرة. مات سنة ثمان وعشرين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٣٦٢ ترجمة ٦٤٠٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٣ ترجمة ١٠٥).

(١١٩) لم أقف عليه عند ابن أبي شيبة، والأثر أخرجه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن" (١٨٠).

(١٢٠) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع، أبو عمران النخعي. الإمام، الحافظ، فقيه العراق. وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد. وقد دخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي. قال ابن حجر في التقريب: ثقة إلا أنه يرسل كثيرا. مات سنة ست وتسعين ومئة، وله سبع وخمسون سنة. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٣ ترجمة ٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠ ترجمة ٢١٣).

(١٢١) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٨٨١٦، ٣٠٧٧٨)، والبخاري في "خلق أفعال العباد" (٢٥٩).

(١٢٢) عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عيسى الأنصاري، الكوفي، الإمام، العلامة، الفقيه. ويقال: أبو محمد، من أبناء الأنصار. ولد في: خلافة الصديق، أو قبل ذلك. وقيل: بل ولد في وسط خلافة عمر، ورآه يتوضأ، ويمسح على الخفين. وقيل: إنه قرأ القرآن على علي. قال ابن حجر في التقريب: ثقة، اختلف في سماعه من عمر. قُتل بوقعة الجماجم سنة اثنتين وثمانين. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٣٧٢ ترجمة ٣٩٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٢ ترجمة ٩٦).

(١٢٣) أخرجه البيهقي في "الشعب" (١٨٨٧).

لهذه الآيات، هذا ما يتعلق بمراتب التلاوة فالنبي -عليه الصلاة والسلام- قد أوصى عبد الله بن عمرو بن العاص بأن يختم القرآن في سبع ليال، والصحابة كانوا يهتمون بالعمل، فكانوا يتعلمون الخمس آيات والعشر الآيات في مجلس واحد فلا يتجاوزون هذه الآيات إلا وقد حفظوها وفهموا معناها وما فيها من الأحكام.

وقد روي عن عبد الله بن عمر أنه مكث في سورة البقرة ست أو سبع أو ثمان سنين يتعلم هذه السورة[١٢٤]، لم يعجزه حفظها وإنما كان يتعلمها ويتعلم ما فيها من المعاني والدلالات والأحكام؛ لأن هذه السورة مليئة بالأحكام الفقهية والقصص والعبر والمواعظ والناسخ والمنسوخ، فكانت همهم الصحابة -رضوان الله عليهم- العمل والحرص على تطبيق هذا القرآن، ونحن الآن في هذا الزمن لا نشكو من قلة الحفظة، فالحفاظ كثيرون ويحفظون القرآن، لكن أين العمل؟

ولهذا كانت الوصية التي أوصى بها عبد الله بن مسعود أن تتحرك به القلوب، وأن تقف عند عجائبه[١٢٥]، ولا يكون هم الواحد هو نهاية هذه السورة فيحرص الإنسان في تلاوته على التدبر والعمل؛ لأن هذا أمر الله، وقراءة القرآن عبادة، والعبادة لا بد أن تكون بفهم وعلم، وإلا كيف يؤديها الإنسان لا يسوغ لإنسان أن يصلي وهو لا يعلم أحكام الصلاة، ولا يعرف ماذا يقول في ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده!

فلا بد أن يتعلم هذه الأحكام، فكذلك يتعلم الإنسان هذه المعاني ويقف عندها ويأتمر بأوامرها وينتهي عند نواهيها، ويقف عند حدود الله، ولو أن أهل القرآن قاموا بهذه الصفة كما كان عليها الصحابة -رضوان الله عليهم- لتحقق لهم الخير في حياتهم، ولحفظهم الله -تعالى- من هذه الفتن والمصائب، والصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يتسابقون إلى حفظ القرآن، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يحث أصحابه ويرغبهم في حفظ القرآن وقراءته والعمل به.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يشجعهم ويحفزهم ويذكر محاسنهم في التلاوة؛ كما حصل ذلك مع أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس، إذ كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يمر في بعض طرق المدينة فسمع قراءة أبي موسى

---

(١٢٤) أخرجه مالك في "الموطأ" (٤٧٩).

(١٢٥) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٨٨٢٥)، والبيهقي في الشعب (١٨٨٣).

الأشعري، فوقف واستمع إليها وأعجبته هذه التلاوة فأخبره من الغد قال: «إِنِّي الْبَارِحَةَ اسْتَمَعْتُ إِلَى تِلَاوَتِكَ»، ففرح عبد الله بن قيس بهذا الخبر فهو شهادة عظيمة من النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[١٢٦]، فقال عبد الله: لو أني علمت بذلك لحبرتها لك تحبيرًا[١٢٧]، أي: أضفت عليها أشياء كثيرة من التحسين الصوت وتزيينه، فكان -عليه الصلاة والسلام- يشجعهم.

ويستفيد من هذا أيضًا أن قارئ القرآن إذا كان تاليًا محسنًا للتلاوة حسن الصوت لا يمنع الإنسان أن يذكر له هذا الشيء ويقول: جزاك الله خيرًا على هذا الصوت الجميل الحسن المتقن الجيد، وليس هذا من الإطراء، وإنما هو من التشجيع كما كان يفعل -عليه الصلاة والسلام، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام- أيضًا لأبيٍّ[١٢٨]: «أَقْرَأُكُمْ أُبَيٌّ[١٢٩]»، وقال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَأْخُذَ الْقُرْآنَ غَضًّا طَرِيًّا فَلْيَأْخُذْهُ عَنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[١٣٠]، وهو عبد الله بن مسعود -رضي عنه- لذلك كان للصحابة نشاط دائم وكانوا إذا جلسوا في بيوتهم أو في المسجد كأنما تسمع دويًّا كدوي النحل، كما وصفه بعض أهل العلم منهم عبد الرحمن بن أبي ليلى في صفة الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- في الإقبال على القرآن الكريم، ولم يحرصوا على أن يستكملوا، وإنما على أن يعوه وأن يفهموه، وأن يتقنوا هذا القرآن العظيم.

---

(١٢٦) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب في فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة بالقرآن (٥٠٤٨). مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٧٩٣) واللفظ له.

(١٢٧) صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٩٧)، الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٢٩)، من حديث أبي موسى، انظر السلسلة الصحيحة (٣٥٣٢).

(١٢٨) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدري، ويكنى أيضا أبا الطفيل. شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعرض على النبي -عليه السلام-، وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل -رضي الله عنه. قال له النبي -صلى الله عليه وسلم: « ليهنك العلم أبا المنذر». مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٢ ترجمة ٢)، وأسد الغابة (١/ ١٦٨ ترجمة ٣٤).

(١٢٩) الحديث أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي (٥٠٠٥) بمعناه عن عمر بن الخطاب.

(١٣٠) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٣٥، ٤٢٥٥، ٤٣٤٠)، ابن ماجه الكتاب المقدمة، باب فضل عبد الله بن مسعود (١٣٨)، قال الألباني في صحيح ابن ماجه: صحيح، من حديث ابن مسعود، وفي الباب عن عمر بن الخطاب، عمرو بن الحارث وغيرهما.

إذن هناك زيادة على القدر المحدد؛ كأن يختم الإنسان في أقل من ثلاث ليال أو سبع، كما حصل لعثمان وغيره، والتلاوة في أقل من سبعة أو ثلاث ليال ليست محرمة، وإنما يقال: هذا خلاف الأولى، فهذا يختلف باختلاف أحوال الناس، كما ذكر ذلك النووي -رحمه الله تعالى- ونقله عنه ابن حجر[١٣١] قال النووي[١٣٢]: "والاختيار في ذلك -يعني في قراءة القرآن- أن ذلك يختلف بالأشخاص؛ فمن كان من أهل الفهم وتدقيق الفكر استحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبر واستخراج المعاني، وكذلك مَن كان له شغل بالعلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخل بما هو فيه، ومن لم يكن كذلك فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل ولا يقرأه هذرمة؛ فالحكم حينئذ يدور مع النفع".

فربما تجد إنسانًا لا يختم في شهر أو شهرين؛ لأنه مرتبط بمصالح متعدية النفع للمسلمين، فالناس ليسوا على درجة سواء، فمن كان مرتبطًا بأعمال متعدية النفع لإخوانه المسلمين فهذا يقرأ على قدر استطاعته، ولا يكلف نفسه أكثر من ذلك؛ لأنه لو جلس يقرأ هذه المدة لتعطلت تلك المنافع؛ كالعطف على الفقراء والمساكين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمرابطة والحراسة، فليس هذا حكمًا عامًّا على كل الناس، فهذا الحكم يدور مع النفع المتعدي، فمن كان نفعه متعديًا إلى الآخرين أكثر من نفع القراءة فيبقى على ذلك النفع ولا يترك القراءة، وإذا كان نفعه في القراءة أكثر فيبقى على القراءة حينئذ؛ كأن يكون هذا الإنسان متبحر في القراءة، ويعرف الصفات والمخارج، فإذا قرأ

---

(١٣١) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر، شهاب الدين أبو الفضل الكناني العسقلاني الشافعي. قاضي القضاة، حافظ زمانه. نشأ يتيما، وأكمل حفظ القرآن في التاسعة من عمر، وصلى التراويح بالناس في الحرم المكي وله اثنا عشر عاما. رحل حبا في العلم وتطلبا للشيوخ. من أبرز شيوخه: ابن الملقن، والسراج البلقيني، وأبو الحسن الهيثمي. من أبرز تلاميذه: السخاوي، ابن قاضي شهبة، ابن تغري بردي. له مؤلفات حسان؛ أهمها: "فتح الباري"، و"لسان الميزان"، و"الدرر الكامنة". ولد سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة، وتوفي سنة ثنتين وخمسين وثمان مئة. انظر: الضوء اللامع (٢/ ٣٦ ترجمة ١٠٤)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٣ ترجمة ١٠٢)، وله ترجمة موعبة في الجواهر والدرر لتلميذه السخاوي.

(١٣٢) يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن ين حسين، أبو زكريا الحزامي النووي الشافعي الدمشقي، الحافظ الزاهد، أحد أعلام الشافعية. ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مئة. صرف أوقاته في العلم والعمل به، وتبحر في الحديث والفقه واللغة. كان في لحيته شعرات بيض، وكان عليه سكينة ووقار في البحث مع الفقهاء. له مؤلفات جياد أثنى عليها الموافق والمخالف؛ منها: "المجموع"، و"روضة الطالبين". توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مئة. انظر: "تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين" لابن العطار.

وسجلت هذه القراءة واستمع إليها أناس آخرون استفادوا منها، فهذا يبقى على حاله ويفرغ وقته لهذا الشيء حتى ينفع الله -تعالى- بهذه القراءة التي يتلوها، وكذلك مَن كان في المسجد أيضًا يدرس في الحلقات هذا في حقه أنه يبقى ليفيد الآخرين، فهو متوقف على النفع.

ولهذا رأى الإمام أحمد -رضي الله عنه- أنه لا يزيد على ثلاثة أيام إن كان جادًّا مجتهدًا، فلا يختم في ليلة ولا في ليلتين، بل يختم في ثلاث ليال، وقال بعض الظاهرية: يحرم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاثة؛ ووقفوا على ظاهر النص، لكن اختيار الإمام أحمد ومَن معه من أهل العلم أنه يقرأ ليالي الصيف أقصر من ليالي الشتاء، وساعاتها طويلة، ويستطيع أن يختم ويقرأ، ولكن أقل الأحوال أن يحرص الإنسان على أن يختم في شهر رمضان، فشهر رمضان هو شهر القرآن، فيحرص على ذلك غاية الحرص؛ لأن السلف -رضوان الله عليهم- كانوا يتركون الدروس والعلوم الأخرى، وينصرفون إلى القرآن الكريم، هذا ما يتعلق بهذا الأثر عن ابن مسعود، وهو مخرج في الصحيحين[١٣٣]، وقد رواه أبو داود وأحمد[١٣٤].

، وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ النَّاجِيِّ[١٣٥] أَنَّهُ سَمِعَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ[١٣٦] يَقُولُ: (الْزَمُوا كِتَابَ اللهِ وَتَتَبَّعُوا مَا فِيهِ مِنَ الأَمْثَالِ، وَكُونُوا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ، ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا عَرَضَ نَفْسَهُ وَعَمَلَهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ، فَإِنْ وَافَقَ كِتَابَ اللهِ حَمِدَ اللهَ

(١٣٣) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (٤٩٩٦، ٥٠٤٣)، مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ وهو الإفراط في السرعة وإباحة ... (٨٢٢).

(١٣٤) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٣٩٥٨، ٣٩٦٨، ٤٠٦٢)، أبو داود: كتاب الصلاة، تحزيب القرآن (١٣٩٦)، قال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح دون سرد السور.

(١٣٥) بكر بن الأسود، ويقال: ابن أبي الأسود، أبو عبيدة الناجي، ضعفه ابن معين، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٣٨٢ ترجمة ١٤٨٩)، لسان الميزان (٢/ ٤٧ ترجمة ١٧٤).

(١٣٦) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. كانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي فتسكته بثديها. ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس. مات سنة عشر ومئة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٩٥ ترجمة ١٢١٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٣).

وَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ، وَإِنْ خَالَفَ كِتَابَ اللهَ أَعْتَبَ نَفْسَهُ فَيَرْجِعُ مِنْ قَرِيبٍ)، وَعَنْ أَبِي كِنَانَةَ[١٣٧] أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ[١٣٨] قَالَ: (الَّذِينَ قَرَؤُوا الْقُرْآنَ وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِمِئَةٍ، فَعَظَّمَ الْقُرْآنَ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ زُخْرًا وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلاَ يَتَّبِعْكُمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنَ زَجَّ فِي قَفَاهُ فَقَذَفَ فِي النَّارِ)[١٣٩].

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ)[١٤٠]، وَعَنْ عَطَاءٍ[١٤١] وَقَيسِ بْنِ سَعْدٍ[١٤٢] (عَنْ مُجَاهِدٍ[١٤٣] فِي قَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾[١٤٤]، قَالَ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ)[١٤٥]، وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: (إِنَّمَا

---

(١٣٧) أبو كنانة القرشي. قال ابن حجر في التقريب: مجهول. انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ٢٢٧ ترجمة ٧٥٨٩)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٣٠/ ٢١٣٥).

(١٣٨) الصحابي الجليل عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٥١ ترجمة ٣١٣٧)، والإصابة (٤/ ٢١١ ترجمة ٤٩٠١).

(١٣٩) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في "الحلية" (١/ ٢٥٧) عن أبي كنانة به.

(١٤٠) أخرجه عبد الله بن المبارك في "الزهد" (٣٧) .

(١٤١) عطاء بن أبي رباح، واسمه أسلم، الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي. يقال: ولاؤه لبني جمح. ثقة كثير الإرسال. نشأ بمكة، وولد في أثناء خلافة عثمان. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال. توفي سنة أربع عشرة ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٩ ترجمة ٣٩٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨ ترجمة ٢٩).

(١٤٢) قيس بن سعد، أبو عبد الملك، ويقال: أبو عبد الله المكي الحبشي، مولى نافع بن علقمة، ويقال: مولى أم علقمة، مات سنة تسع عشرة ومئة، وكان قد خلف عطاء في مجلسه، وكان يفتي بقول عطاء. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٧ ترجمة ٤٩٠٧)، وميزان الاعتدال (٣/ ٣٩٧ ترجمة ٦٩١٥).

(١٤٣) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين. روى عن: ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. كان يقول: يقول: "عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟". وكان من أعلم التابعين بالتفسير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة إمام في التفسير. توفي سنة ثلاث ومئة وقد نيف على الثمانين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨ ترجمة ٥٧٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩ ترجمة ١٧٥).

الْقُرْآنُ عِبَرٌ، إِنَّمَا الْقُرْآنُ عِبَرٌ)[١٤٦]. قال محمد بن الحسين[١٤٧]: وَقَبْلَ أَنْ أَذْكُرَ أَخْلاَقَ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَتَأَدَّبُوا بِهِ أَذْكُرُ فَضْلَ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ؛ لِيَرْغَبُوا فِي تِلاَوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالتَّوَاضُعِ لِمَنْ تَعَلَّمُوا مِنْهُ أَوْ عَلَّمُوهُ).

وبعده وصية الحسن البصري[١٤٨]، فقد أوصى الحسن البصري قُرَّاء القرآن بأن يلزموا كتاب الله، وأن يداوموا عليه، وأن يتبعوا ما فيه من الأمثال[١٤٩].

والقرآن قد ضرب الله فيه الأمثال، قال الله -تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[١٥٠]. وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾[١٥١]. فالقرآن مليء بالعبر والأمثال لما جرى للأمم السابقة جماعات وأفراد، فالأفراد مثل قوله -تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[١٥٢]. وعن الأقوام قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾[١٥٣]. والأمثال لا يعقلها إلا من تدبر

---

(١٤٤) البقرة: ١٢١.

(١٤٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥٦٦)، من طريق عطاء وقيس بن سعد عن مجاهد به.

(١٤٦) أخرجه سعيد بن منصور – كما في روح المعاني (٢٣/ ٢٠٩)- قال الألوسي: صحيح.

(١٤٧) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: "الشريعة"، و"الأربعين". توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧).

(١٤٨) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. كانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي فتسكته بثديها. ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس. مات سنة عشر ومئة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٩٥ ترجمة ١٢١٦)، والسير (٤/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٣).

(١٤٩) ذكره ابن الجوزي في التذكرة في الوعظ (ص٨٠)

(١٥٠) الزمر: ٢٧ – ٢٨.

(١٥١) الروم: ٥٨.

(١٥٢) الأعراف: ١٧٥.

(١٥٣) الجمعة: ٥.

وتفكر، كما قال -تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾(١٥٤). وقال -تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١٥٥).

فضرب الأمثال ليس للتسلية، ولا للقصص التاريخية، وإنما هو للاعتبار، وأخذ العبرة والاتعاظ، يعني: كل ما في هذا القرآن عبر، قال -تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾(١٥٦). وهذه وصية جليلة، فالذي يعرض حاله ونفسه على القرآن الكريم، يستطيع أن يعرف ما لها وما عليها في الطاعة وفي المعصية، فاعرض نفسك على القرآن دائمًا، وأيّ عمل تُقْدِم عليه اعرضه على القرآن، فإن كان موافقًا لما في القرآن فأقدم عليه، وإن كان مخالفًا فأعرض عنه؛ ولهذا فإن الذي يُعْرِض عن القرآن في أقواله وأفعاله قد ارتكب الهوى، قال -تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾(١٥٧). وقال -تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(١٥٨). فأمر الله -تعالى- نبيه، وأمر أمته بأن يسيروا على هذه الشريعة، وهذه الشريعة في القرآن وفي السنة.

فهذا وصايا الثلاث -رحمهم الله، فيقول: إن وافق كتاب الله، حمد الله، وسأله الزيادة، وإن خالف ذلك أعتب نفسه، أي: عاتبها على هذا الفعل، ولو أن الناس فعلوا ذلك لما رأيت هذا التعدي على حدود الله، وهذا الفساد، وهذا الظلم، وغيره من المحرمات التي يقعون فيها.

وفي الأثر عن أبي موسى الأشعري(١٥٩) أنه جمع قُرَّاء القرآن، وهذا الجمع قريب من الثلاثمئة، ويحتمل أن يكونوا من التابعين ومن الصحابة، جمعهم أبو موسى -رضي الله عنه- فوعظهم، وعظم القرآن في قلوبهم، وبيَّن لهم أن الله -

---

(١٥٤) العنكبوت: ٤٣.

(١٥٥) الحشر: ٢١.

(١٥٦) يوسف: ١١١.

(١٥٧) القصص: ٥٠.

(١٥٨) الجاثية: ١٨.

(١٥٩) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن

تعالى- أنزل هذا القرآن؛ ليكون لكم نورًا وهداية، فعظموه في قلوبكم، فمَن عظَّم القرآن فقد عظم الذي أنزل القرآن، وهو الله -جل وعلا، وعظَّم مَن أُنْزِل عليه القرآن، وهو النبي -عليه الصلاة والسلام[١٦٠].

والذي يتبع القرآن ويعمل به، فإن القرآن وفِيٌّ لأهله في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، لأن القرآن يتبعه إلى يوم القيامة إلى أن يدخل الجنة، كما تقدم في سورتي: البقرة وآل عمران، وهما الزهراوان، وأنهما تأتيان يوم القيامة كالغيايتين أو كالغمامتين تحاجان عن صاحبهما حتى يدخل الجنة[١٦١].

فالقرآن يتبعه، وينير له الطريق في الدنيا وفي الآخرة، حتى يدخل مآله وهو الجنة، كذلك الذي لا يتبع القرآن، فالقرآن يتبعه بالعذاب، ويدفعه دفعًا إلى النار -والعياذ بالله؛ ولهذا قال -تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فلاَ يَضِلُّ ولاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[١٦٢].

هذه وصايا الصحابة ووصايا السلف -رضوان الله عليهم، ثم بعد ذلك جاء ما أوصى به الحسن، وهو تابع لما قبله، ثم تفسير مجاهد[١٦٣] لقوله -تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾[١٦٤]. قال: يعملون به حق عمله[١٦٥]. فالمقصود العمل بالقرآن، وليس كثرة التلاوة، وإن كانت الكثرة فيها الأجر والثواب، لكن المقصود الأعظم هو العمل بالقرآن الكريم، وإنما القرآن عبر، أي: يعتبر به مَن قَرَأَه، ويَعرِف حال الأمم وحال العصاة من الكافرين مع أنبياء الله -تعالى- ورسله.

العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام، ووفاة أبي عبيدة، واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة، وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٥١ ترجمة ٣١٣٧)، والإصابة (٤/ ٢١١ ترجمة ٤٩٠١).

(١٦٠) أخرجه الفريابي في فضائل القرآن (١٩)، أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥٧) بلفظه . وفي المصادر الأخرى بدون ذكر الجمع للقراء .

(١٦١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي.

(١٦٢) طه: ١٢٣ - ١٢٤.

(١٦٣) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين. روى عن: ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. كان يقول: يقول: "عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟". وكان من أعلم التابعين بالتفسير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة إمام في التفسير. توفي سنة ثلاث ومئة وقد نيف على الثمانين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨ ترجمة ٥٧٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩ ترجمة ١٧٥).

(١٦٤) البقرة: ١٢١.

(١٦٥) أخرجه مجاهد في تفسيره (١/ ٨٧)، سعيد بن منصور في سننه (٢٠٩).

ولما ذكر الله -تعالى- قصة يوسف العجيبة مع إخوته وما جرى، ختمها الله -تعالى- كما بدأها، فقال في أولها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾(١٦٦). وفي آخرها قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(١٦٧). فبدأها بذكر القصص وختمها بالقصص، وهذا من المناسبات اللطيفة في مناسبات أوائل السور وأواخرها، فسَمَّى الله -تعالى- هذه القصص عبرة لمن يعتبر بها، وقال -تعالى- في آية أخرى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾(١٦٨). أي: لما تقدم من سياق في هذه الآيات، لأولي الأبصار: هم أهل النظر الصحيح، وهم الذين يتأملون هذا القرآن، ويتأثرون به، ويعرفون ما جرى للأقوام السابقة، وما أعده الله -تعالى- لأوليائه من نعيم مقيم، وما أعده للمخالفين والعصاة من العذاب والجحيم..

السؤال:

أحسن الله إليكم يا شيخ، يقول السائل: سيقول البعض -حفظك الباري: أيهما أولى بالإمامة: رجل يحسن القراءة من ناحية الأحكام وغيرها، أم مَن هو أحفظ، وإن كان لا يجيد القراءة بالأحكام، وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب:

الإمام إذا كان إمامًا ثابتًا في المسجد فهو أولى، وإن كان أقل في الحفظ، فإذا كان ثابتًا وإمامًا رسميًّا في المسجد فهو أولى بالإمامة من غيره، وإن كان خلفه مَن هو أقرأ منه، لكن إذا كان في غير المسجد، فكما قال -عليه الصلاة والسلام: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله»(١٦٩). فإذا كانوا في غير المسجد، يؤمهم الضابط المتقن لقراءة القرآن الكريم، وإن لم يكن حافظًا.

---

(١٦٦) يوسف: ٣.

(١٦٧) يوسف: ١١١.

(١٦٨) النور: ٤٤.

(١٦٩) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (٦٧٣) من حديث أبي مسعود.

وَفِي بَابِ فَضْلِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ[١٧٠] قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لله فِي النَّاسِ أَهْلُونَ». قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ»[١٧١]. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لله أَهْلِينَ». قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ». وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ وَارْقَ فِي الدَّرَجَاتِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَأُهَا»[١٧٢]. وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا»).

قال محمد بن الحسين: (وَرُوِيَ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ[١٧٣] أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَمَّنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ: مَا فَضْلُهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْرَأْهُ؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ عَدَدَ دَرَجِ الْجَنَّةِ بِعَدَدِ آيِ الْقُرْآنِ، فَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ[١٧٤].

---

(١٧٠) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتا، وروى عنه علما جما، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة. دعا له النبي بالبركة، فرأى من ولَده وولَدِ ولَدِه نحوا من مئة نفْس. مات سنة إحدى وتسعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٥٣ ترجمة ٤٣)، والإصابة (١/ ١٢٦ ترجمة ٢٧٧).

(١٧١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١٢٢٧٩، ١٢٢٩٢، ١٣٥٤٢)، وابن ماجة: في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (٢١٥). وقال الألباني في صحيح ابن ماجة: صحيح.

(٢٧) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦٧٩٩)، أبو داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة (١٤٦٤)، الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من كتاب الله ما له من الأجر (٢٩١٤)، قال الترمذي: حسن صحيح، قال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

(١٧٣) هي: الصحابية الفاضلة أم الدرداء السيدة العالمة الفقيهة، هجيمة، وقيل: جهيمة الأوصابية الحميرية الدمشقية، وهي أم الدرداء الصغرى. روت علما جما عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان الفارسي، وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة. وعرضت القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء. وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد. خطبها معاوية بعد موت أبي الدرداء، فرفضته، وقالت: لا أتزوج زوجا في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء -إن شاء الله- في الجنة. حجت في سنة إحدى وثمانين. انظر: الاستيعاب (ص: ٩٥٠ ترجمة ٣٥١٥)، الإصابة (٨/ ١٦١ ترجمة ١١٨٧٥).

وَعَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَلَّمُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ؛ فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ عَلَى تِلاَوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لاَ أَقُولُ: "الم" حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ. إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ الله -عَزَّ وَجَلَّ- فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَةِ الله مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ الله، هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَنَجَاةُ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَعِصْمَةُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلاَ يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ»(١٧٥).

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ؛ فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ بِهِ؛ إِنَّ بِكُلِّ اسْمٍ مِنْهُ عَشْرًا، أَمَا إِنِّي لاَ أَقُولُ: بِـ (آلم) عَشْرٌ، وَلَكِنْ بِأَلِفٍ عَشْرٌ، وَبِاللاَّمِ عَشْرٌ، وَبِالْمِيمِ عَشْرٌ(١٧٦).

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَقَدْ حَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا، لَقَدْ أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُوحَى إِلَيْهِ، فَلاَ يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَّ مَعَ مَنْ يَجِدُّ، وَلاَ يَجْهَلَ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ؛ لأَنَّ الْقُرْآنَ فِي جَوْفِهِ(١٧٧).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ(١٧٨) يَرْفَعُهُ، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ رُبُعَ الْقُرْآنِ فَقَدْ أُوتِيَ رُبُعَ النُّبُوَّةِ، وَمَنْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَقَدْ أُوتِيَ ثُلُثَ النُّبُوَّةِ، وَمَنْ قَرَأَ ثُلُثَيِ الْقُرْآنِ فَقَدْ أُوتِيَ ثُلُثَيِ النُّبُوَّةِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدَ أُوتِيَ النُّبُوَّةَ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُوحَى إِلَيْهِ»(١٧٩).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي تتابعت علينا نعمه، وترادفت لدينا مننه، بواضح البيان، وبيِّن البرهان، مَنَّ فأكرم، وأعطى فأجزل، وأنعم فتكرم، لا معقب لحكمه، ولا مبدل لكلماته، وهو سريع الحساب.

---

(١٧٤) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣٠٥٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٩٨).

(١٧٥) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٤١)،قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٨٤٢): ضعيف.

(١٧٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٦٤٨) بنحوه.

(١٧٧) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٨)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١٧٨) صدي بن عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي. غلبت عليه كنيته. توفي سنة إحدى وثمانين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، ويقال: مات سنة ست وثمانين. قال سفيان بن عيينة: كان أبو أمامة الباهلي آخر من بقي بالشام من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٤٨ ترجمة ١٢٢٧)، والإصابة (٣/ ٤٢٠ ترجمة ٤٠٦٣).

(١٧٩) موضوع: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩٩٣) (٢٥٨٩)، قال الألباني في السلسة الضعيفة (٤٧٦): موضوع.

والصلاة والسلام على مَن أرسله الله رحمة للعالمين، ومنة للمؤمنين، ومحجة للسالكين، وحجة على المعاندين؛ ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[١٨٠]، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القبر، وفتنة العمل.

هذا هو الباب الأول في هذا الكتاب، في فضل حملة القرآن، ذكر المؤلف عددًا من الأحاديث المخرجة في كتب السنن، في فضل حملة القرآن الكريم، ومنها حديث أنس[١٨١]، وهو مخرج في مسند الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه، وفي هذا الحديث بيان فضل أهل القرآن الكريم، حينما قال -عليه الصلاة والسلام: «لله مِنَ النَّاسِ أَهْلُونَ». قيل: مَن هم يا رسول الله؟ قال: «أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»[١٨٢].

فالأهل هنا بمعنى الأولياء، أي: أولياء الله -تعالى، الذين اصطفاهم مِن خلقه وعباده، هم أهل القرآن، كما قال -تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١٨٣]. وقال -تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾[١٨٤]. فالذين آمنوا وعملوا الصالحات هم أولياء الله، وأهلون هنا بمعنى: الأولياء، وعبر بالأهل هنا؛ لأنهم قريبون من الله -تعالى، فأهل الرجل هم أقرب الناس إليه، وأقرب الناس إلى الله -تعالى- هم أهل الطاعة والاستجابة لأمره -تعالى، وأعظم أمرٍ يقرب إلى الله -جل وعلا- هو قراءة القرآن الكريم، والمداومة على قراءته، آناء الليل وأطراف النهار، فالذي يقرأ القرآن، ويداوم عليه قريب من الله، وقريب من رحمته، وقريب من إحسانه، وقريب من ثوابه -جل وعلا- وقد قال الله -تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١٨٥].

---

(١٨٠) يس: ٧٠.

(١٨١) صحيح: وقد تقدم.

(١٨٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٣١) من حديث أنس به.

(١٨٣) يونس: ٦٢.

(١٨٤) الأعراف: ١٩٦.

(١٨٥) البقرة: ١٨٦.

وكل عمل صالح فإنه يقرب إلى الله -تعالى، فالإحسان يقرب إلى الله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١٨٦). والصلاة تقرب إلى الله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(١٨٧). فكل عمل صالح جاءت به الشريعة في القرآن أو السنة، فإنه العمل الذي يقرب إلى الله -تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(١٨٨).

وأنبياء الله -جل وعلا- هم أقرب الناس إلى ربهم، كما أخبر الله -تعالى- عن أنبيائه، وقال -تعالى- عن عيسى -عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(١٨٩). ففي هذه الآية قال الله -تعالى- عنه: وجيهًا في الدنيا، ووجيهًا في الآخرة، وأيضًا من المقربين، فالوجاهة عند الله -تعالى- بالعمل الصالح، وهي في الحياة الطيبة، كما أخبر الله -تعالى- في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾(١٩٠).

فالحياة الطيبة في هذه الدنيا في السعادة، وفي طمأنينة النفس، وفي القناعة، وفي الزهد، وفي الآخرة بدخول الجنة، ورؤية الرب -جل وعلا، فهذا النبي عيسى -عليه السلام- وصفه الله -تعالى- بأنه وجيه في الدنيا، ووجيه في الآخرة، وأنه من المقربين، وهكذا أنبياء الله -تعالى؛ لأنهم المصطفون من عباده، فنَفْهَم من قوله -عليه الصلاة والسلام: «لله أَهْلُونَ». أو في الرواية الأخرى: «إِنَّ لله أَهْلِينَ». لما سُئِل -عليه الصلاة والسلام: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ». وأكد ذلك بالخصوصية أيضًا بأنهم يظهرون كلام الله -جل وعلا- ويقرؤونه وينشرونه؛ إما بتلاوته، أو بالدعوة إليه، أو بالعمل بأحكامه، أو بالسير على منهاجه، فكل هذا العمل داخل في هذه القربة إلى الله -تعالى.

إذن نفهم من قوله: «إِنَّ لله مِنَ النَّاسِ أَهْلِينَ». أن أهل القرآن هم أولياء الله -تعالى، وهم أقرب الناس إلى ربهم وخاصته، اختصهم الله -تعالى- من بين سائر الناس؛ لأن الناس في هذه الحياة الدنيا يلهون ويسرحون ويمرحون

---

(١٨٦) الأعراف: ٥٦.

(١٨٧) العلق: ١٩.

(١٨٨) الواقعة: ١١.

(١٨٩) آل عمران: ٤٥.

(١٩٠) النحل: ٩٧.

وينخدعون بزخارفها ومتاعها وشهواتها، فمنهم العاصي من المؤمنين، ومنهم الكافر الذي كفر بربه، فهؤلاء بعيدون عن القرآن؛ فأهل الكفر بعيدون كلَّ البعد، وأهل المعاصي يتركون القرآن تارة ويبتعدون عنه تارة.

ولكن أهل الطاعة هم أهل الإيمان، وهم أهل القرآن، وهم أهل الخاصة، وهم خاصة الناس المقربون إلى الله -جل وعلا- في كل شؤونهم وأحوالهم، فلا تنفك حياتهم ولا أعمالهم عن القرآن، فكما يأكلون ويشربون وينامون ولا يتخلون عن هذه الأمور، فإنهم لا يتخلون عن القرآن؛ لأن مَن دَاوم على القرآن الكريم حصلت له طمأنينة النفس وسعادتها وفلاحها ونجاحها في هذه الدنيا، وحصل له الخير العظيم في الدنيا وفي الآخرة؛ لأنه يعمل بهذا القرآن ويتلوه.

والمؤمن عليه أن يخصص لنفسه دائمًا وقتًا يقرأ فيه القرآن؛ حتى ينال هذا الوصف العظيم الذي جاء من النبي -عليه الصلاة والسلام- أن أهل القرآن هم أهل القرب من الله -جل وعلا، وهذه الصفة لا تكون إلا للعاملين بالقرآن، كما تقدم في الآيات: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾[١٩١]، أي: يعملون به حق العمل، فالعاملون بالقرآن المتبعون له المتدبرون لآياته المستجيبون لأوامره، هؤلاء هم أهل القرآن، وهؤلاء هم أولياء الله، وهؤلاء هم المقربون من الله -جل وعلا، قد عصمهم الله من الموبقات، ومن وساوس الشيطان.

فالمُقْدِم على الله -تعالى- بالطاعة والعبادة -ومن أعظمها تلاوة القرآن- لا يستطيع الشيطان أن يأتيه، أو يوسوس له، أو يضله، أو يغويه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١٩٢]. وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[١٩٣]. أي: عبادي الْخُلَّص من هؤلاء المؤمنون حق الإيمان، التالين لكتاب الله -تعالى.

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص جاء أيضًا في بيان ثواب قارئ القرآن في الآخرة، كما أنه نال الثواب في الدنيا، وصبر واحتسب، وانقطع عن زخارف الدنيا، ومتاعها وشهواتها، وأقبل على القرآن يتلوه ويتعلمه، ويتدبر ما

---

(١٩١) البقرة: ١٢١.

(١٩٢) النحل: ٩٩.

(١٩٣) الإسراء: ٦٥.

فيه؛ لذلك ستكون النتيجة يوم القيامة، وستكون الثمرة العظمى؛ لأنه صبَر واحتسب، وسهر الليل، وداوم على القراءة آناء الليل وآناء النهار، فسوف يجد هذا العمل -إذا اقترن بالإخلاص لله -تعالى- في يوم القيامة، في ذلك اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، لأهل القرآن فيه خصوصية على غيرهم، ومن هذه الخصوصية: أنه يُنَادَى حينما يدخل الجنة، ويقال له: اقرأ القرآن، وارقَ هذه الدرجات التي أعدها الله -تعالى- لأهل القرآن العاملين به: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[١٩٤].

فمَن حفظ القرآن -كله أو بعضه- وعمل بما فيه، وتأدب بآدابه، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وتخلق بأخلاق القرآن الكريم، واتصف به - هو الذي ينطبق عليه حينئذ الوصف العظيم؛ ولهذا كان من صفات النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه كان يتخلق بأخلاق القرآن الكريم، فما من خلق جاء في القرآن الكريم إلا وقد فعله النبي -عليه الصلاة والسلام.

وفي صحيح مسلم: جاء رجل إلى عائشة -رضي الله عنها- يسألها عن الأخلاق، التي كان يتصف بها -عليه الصلاة والسلام- حتى يتعلمها؛ فأوجزت له العبارة، وقالت: أولست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: كان خلقه القرآن[١٩٥]. أي: كان يتأدب بآدابه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويأتمر بأمره، فالقرآن كله أوامر ونواهٍ وأخبار عن الله - تعالى، فمن كان كذلك في حياته فقد تخلق بأخلاق القرآن، وسوف يجد هذه الثمرة غدًا يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١٩٦]. في يوم يكون الإنسان مرتهن بعمله، فلا ينفعه فيه أحد من الناس، لا من البعيد ولا من القريب، إلا ما قدم من العمل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[١٩٧]. أي: بعملها، فلا تظن أنك حينما تقبل على هذا القرآن أنك تفرط في الوقت، وتضيع عليك أمور، بل إنك تجمع خيرات وحسنات عظيمة، إذا كانت مقرونة بالإخلاص لله -جل وعلا.

---

(١٩٤) المجادلة: ١١.

(١٩٥) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (٧٤٦).

(٥١) الشعراء: ٨٨ – ٨٩.

(١٩٧) المدثر: ٣٨.

وهكذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يرغب أمته، ويرغب أصحابه، فيرغب أمته بالإقبال على القرآن الكريم بهذه الأجور العظيمة المترتبة على تلاوة القرآن، كما ورد: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا». فحينما يقول -عليه الصلاة والسلام- هذا الكلام العظيم لأصحابه، فإن نفوسهم تنطلق إلى القرآن الكريم، ويقبلون عليه، ويحفظونه، ويتدارسونه فيما بينهم؛ لأنهم سمعوا هذا الأجر والثواب من الصادق، الذي وعده لا يُخْلف؛ وهو ربنا -جل وعلا- على لسان نبينا -عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا أيضًا بيان لأن الإنسان سوف يرى أثر عمله في الآخرة، وسوف يرى أثر هذا العمل، وقراءة القرآن عمل، فإذا قرأ الإنسان القرآن الكريم، ودوام على ذلك، وكانت أغلب حياته وأغلب أوقاته مشغولة بالقرآن الكريم، فسوف ينال هذا الثواب العظيم الذي جاء في هذا الحديث، حتى إنه يقال له: «كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ». فليس هناك فرق بين ما كنت تقرأ في الدنيا، وما ستقرأ في الآخرة، فاقرأ كقراءتك في الدنيا.

وهذا يعطينا أيضًا فائدة، وهي أن الترتيل أفضل من غيره من أنواع القراءة، أو مراتب القراءة -كما تقدم في الأربع- وأن الترتيل هو أفضلها، فالذي يرتل في الدنيا سوف يرتل في الآخرة، فهذه الصفة -صفة التلاوة- بهذا النوع ستكون معه أيضًا في الآخرة، فكانت -من هذا الوجه- له أفضلية هذا الكلام، فيقال لقارئ القرآن: اقرأ. حينما يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ويتوجه العاملون إلى مراتبهم في الجنة، لكن صاحب القرآن من بين هؤلاء العاملين خُصَّ بخاصية عظيمة، وهي أنه في هذه الدرجات لا يتوقف إلا عندما تنتهي قراءته، فالذي يحفظ القرآن الكريم كاملاً يقف عند آخر آية، والذي يحفظ النصف كذلك، أو الربع، أو الثلث، أو أقل من ذلك، فهذا الفضل متفاوت حينئذ.

فمَن كان حافظًا للقرآن كله، عاملاً به، مقتديًا به، متأدبًا بآدابه، فهو أفضل ممن حفظ النصف، أو حفظ الربع، أو حفظ أقل من ذلك، فسَجِّل بنفسك هذه الحسنات، وادخر لنفسك هذا الثواب العظيم بقراءة القرآن الكريم، ومعنى قوله: «ارْقَ». أي: اصعد درجات هذه الجنة التي أعدها الله -تعالى- لأوليائه، على قدر ما تحفظه من هذه الآيات المصحوبة بالعمل، فإن كان حافظًا للقرآن كله كان في أعلى الدرجات، وإن كان أقل من ذلك كان أقل درجة أيضًا.

وأما حديث عبد الله بن عمرو أيضًا، وهو ملحق بالحديث السابق، وقد أخرجه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود[١٩٨]، وهذا من الثواب العظيم الذي يُضَمُّ إلى الآية السابقة التي وردت في أول الكتاب، وذكرها المؤلف، وهي آية عظيمة في سورة فاطر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١٩٩]. فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ﴾. أكدها بحرف (إن) المؤكدة، ثم أيضًا باسم الموصول (الذين)، ثم بصفة التلاوة: (يتلون) القرآن الكريم، ثم بوصف القرآن بـ (كتاب الله)، ثم بالإضافة (يتلون كتاب الله)، أي: يتلون هذا القرآن تلاوة -كما تقدم- مصحوبة بالعمل والتدبر والاتباع.

أما القراءة المجردة عن هذه الأمور، فإنها لا تدخل في هذه الآية، وربما تكون وبالاً على صاحبها؛ كما جاء في الحديث الآخر عند مسلم: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»[٢٠٠]. يكون حجة لك إذا تلوته، وعملت بما فيه، وطبقت أحكامه، ووقفت عند حدوده، وما أحوج الإنسان لهذه الحجة يوم القيامة التي تدافع عنه، وهناك حجج مقبولة وقوية، ويظهرها الله -تعالى- يوم القيامة، وهناك حجج واهية وباطلة لا تنفع أصحابها يوم القيامة، كما قال -تعالى- عن الكفار: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٢٠١].

أما أصحاب الحق والإيمان، والعمل الصالح، وأهل القرآن فحجتهم ظاهرة وقوية ونافعة في الدنيا وفي الآخرة، فإن الذين يتلون كتاب الله مع العمل بما فيه، فإن ذلك يثمر المحافظة على الصلاة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾[٢٠٢]. وأثمر الإنفاق في سبيل الله، والإنفاق على القربى، وعلى المساكين، وعلى الفقراء، وعلى المحتاجين من هذا الرزق الذي رزقه الله -تعالى- لهم، فأنفقوا منه ولو كان قليلاً، فلا يعنى أن الإنسان إذا كان تاجرًا ثريًّا أنفق، ولو كان فقيرًا لا ينفق.

---

(٥٣) سبق تخريجه.

(١٩٩) فاطر: ٢٩ - ٣٠.

(٢٠٠) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢٠١) الشورى: ١٦.

(٥٧) فاطر: ٢٩.

إذن، انظر إلى القرآن الكريم الذي هو أساس عقيدة المسلمين، ماذا أثمر؟! أثمر العبادة الصالحة، والعبادة ماذا أثمرت؟ أثمرت الأخلاق، وما هي الأخلاق؟ الأخلاق: التعاون والإنفاق والرحمة والإحسان...

فالعقيدة الصحيحة المأخوذة من القرآن والسنة تثمر العبادة، وهذه العبادة هي: الصلاة والزكاة والصيام والحج... وهذه عبادات مفروضة، والعبادات المفروضة ماذا تثمر؟ تثمر الأخلاق وحسن التعامل، وانظر مثلاً إلى الصلاة في قول الله -تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٢٠٣]. فإذا كانت تنهى عن الفحشاء، فمعنى ذلك أنها تأمر بالخير، وهذا الأمر من الأخلاق.

كذلك الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢٠٤]. فهذه هي الثمرة، والحج ماذا يثمر؟ ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[٢٠٥]. والصيام ماذا يثمر؟ يثمر التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢٠٦]. وآخر آية ذكرت التقوى، فكأن الصيام محافظ لسياج التقوى في أول آية وآخر آية، قال -تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٢٠٧]. وفي الآية الأولى قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فالصوم يثمر التقوى، والتقوى لها منافع متعددة على حياة العبد، قال -تعالى: ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾[٢٠٨]. أي: في الخفاء وفي العلن، ومع ذلك يكرمهم الله -تعالى، ويزيدهم أجورًا على أجور، قال -تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾[٢٠٩]. أي: يزيدهم على ذلك، ويزيدهم من فضله، والذي يقول هذا الكلام هو الذي وعده حق

(٢٠٣) العنكبوت: ٤٥.

(٢٠٤) التوبة: ١٠٣.

(٢٠٥) البقرة: ١٩٧.

(٢٠٦) البقرة: ١٨٣.

(٢٠٧) البقرة: ١٨٧.

(٢٠٨) الرعد: ٢٢.

(٢٠٩) فاطر: ٣٠.

وصدق: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٢١٠]. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢١١]. غفور لسيئاتهم وذنوبهم، يشكر الله أعمالهم هذه، فهذه أعظم آية جاءت في ثواب أهل القرآن الكريم؛ ولهذا سماها بعض السلف: آية القُرَّاء.

فهذه من الآيات المُلَقَّبَات، كما جاء في آية الكرسي، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- سماها آية الكرسي، وسميت آية الدين آخر سورة البقرة وسميت آخر آية في سورة الإسراء: آية العز: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[٢١٢]. فسماها النبي -عليه الصلاة والسلام- كما عند ابن كثير[٢١٣] آية العز.

ثم جاء الحديث الذي بعده، وهو رواية عن أم الدرداء، وأم الدرداء زوجة أبي الدرداء، وأبو الدرداء له زوجتان: صغرى وكبرى، الصغرى هي التي تذكر لنا هذا الأثر، قيل: إن اسمها هجيمة أو جهيمة. وكانت أم الدرداء من فضليات النساء وعقلائهن، وكانت ذات رأي وعبادة ونسك، تُوفِّيت في خلافة عثمان -رضي الله عنه، ولما تُوفِّي زوجها خطبها معاوية[٢١٤] -رضي الله عنه- فأبت وامتنعت، واحتجت عليه بحديث رواه الطبراني[٢١٥] بسند صحيح،

---

(٢١٠) آل عمران: ٩.

(٢١١) فاطر: ٣٠.

(٢١٢) الإسراء: ١١١.

(٦٨) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي البصري، ثم الدمشقي الشافعي، أبو الفداء عماد الدين، الحافظ المؤرخ الفقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، سنة إحدى وسبع مئة، وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وسبع مئة. له العديد من التصانيف؛ منها البداية والنهاية، والتفسير، وغيرها من المصنفات. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ (١/ ٣٨)، طبقات المفسرين (١/ ٢٦٠ ترجمة ٣١٣).

(٢١٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الرحمن، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، ملك الإسلام. ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاث عشرة، والأول أشهر. أمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي -صلى الله عليه وسلم- من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح. مات سنة ستين. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٦٨ ترجمة ٢٣٤٦)، والإصابة (٦/ ١٥١ ترجمة ٨٠٧٤).

(٢١٥) الحافظ الثقة الرّحّال الجوال، محدث الإسلام، علم المعمرين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، أبو القاسم الطبراني. من طبرية، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها من المؤلفات. ولد سنة ستين ومئتين، وتوفي في يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاث مئة، ودفن يوم الأحد آخر يوم من ذي القعدة إلى جنب حمة الدوسي بباب مدينة جي. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩ ترجمة ٨٦)، طبقات الحفاظ (ص٧٣).

وقالت له: المرأة بآخر زوجها لا أتزوجك. فاحتجت بهذا، وكانت فقيهة وعالمة، وقالت: إن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «المَرْأَةُ لآخِرِ أَزْوَاجِهَا»[٢١٦]. وقد أحببتُ أبا الدرداء؛ ولا أتزوج بعده.

وبعض النساء الآن إذا كانت محبة لزوجها فإنها لا تتزوج بعده، ولو مكثت سنين طويلة، هذا يكون من الوفاء، لكن ليس من السنة، فأم الدرداء هذه كانت عالمة وفاضلة، وذات عبادة ونسك وطاعة، وقد وثقها أهل العلم، وهي ثقة كما ذكر ذلك ابن حجر.

أما الكبرى فاسمها خِيرة أو خَيِّرة، لكن المقصودة في هذا الأثر هي أم الدرداء الصغرى، وقد سألت عائشة -رضي الله عنها- عمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن، ما فضله ممن لم يقرأ؟ فقالت عائشة -رضي الله عنها: إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن، فمن دخل الجنة ممن قرأ فليس فوقه أحد.

وعدد آيات القرآن ستة آلاف ومئة وستة عشر آية، كما يذكر العادون، لكن تتفاوت بين علماء العدد، والعلماء مختلفون في العدّ؛ فبعضهم يقول أقل، وبعضهم يقول أكثر، وهناك العد المكي، والعد المدني، والعد البصري، والعد الكوفي، كما هو مقرر في علم القراءات، فعلماء العدد يختلفون في عدد الآيات، لكن عائشة تقول: إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن.

وفي حديث صحيح ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في الصحيحين، من حديث أبي سعيد الخدري[٢١٧] أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ؛ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[٢١٨]. وعائشة تقول هنا: بعدد آي القرآن الكريم، وليس في هذا تعارض، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح ذكر الدرجات العامة في الجنة، وما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض،

---

(٢١٦) صحيح: أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٧١٨ - مطالب)، الطبراني في الأوسط (٣١٣٠)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨١).

(٢١٧) سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج، أبو سعيد الخدري، الإمام المجاهد، مفتي المدينة. واسم الأبجر: خدرة، وقيل: بل خدرة هي أم الأبجر. استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان. وحدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأكثر وأطاب، وعن أبي بكر، وعمر، وطائفة، وكان أحد الفقهاء المجتهدين. مات سنة أربع وسبعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٨٦ ترجمة ٩١٥)، وأسد الغابة (٢/ ٤٥١ ترجمة ٢٠٣٦).

(٢١٨) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة (١٨٨٤)، وفي الباب من حديث أبي هريرة.

فالأمر واسع، فما بين الدرجتين رتب ومراتب يتفاوت الناس فيها، مثل أن يكون الإنسان عنده عمارة عشرة أدوار، وفي كل دور أجنحة وغرف، وأماكن متفاوتة، كما يحصل الآن في الفنادق، ففي الدور الواحد غرف متباينة، فهذه الغرفة أرقى من تلك، وهذا الجناح أرقى من ذلك الجناح... وهكذا، حتى السعر يتفاوت في التأجير في هذه الغرف، بحسب ما فيها من تسهيلات وراحة.

فدرجات الجنة عظيمة، وعلمها عند الله؛ لأن هذه من غيب الآخرة، ومن أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بهذه الأخبار التي ترد في أوصاف الجنة ونعيمها ودرجاتها، وهذه الدرجات قد ذكر الله -تعالى- أنه أعد فيها درجة عالية للمجاهدين في سبيله، كما قال -تعالى- في سورة النساء: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾[٢١٩]. وقال -تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾[٢٢٠].

فالدرجة معناها: المنزلة الرفيعة العالية؛ ولهذا جاء في الفرق ما بين الرجال والنساء، قال -تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[٢٢١]. فالدرجة هذه التي تكون للرجال دون النساء، وذلك بما آتى الله -تعالى- الرجال من القوة والعقل والسياسة، ومعرفة تدبير الأحوال، وهي جزء من القوامة التي قال الله -تعالى- فيها: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾[٢٢٢]. فهذه القوامة هي التي تفرق بين الرجل وبين المرأة.

وقد فسر ابن عباس الدرجة هنا بتفسير لطيف، فقال: الدرجة: العفو، كيف تكون بمعنى العفو؟ قال: إن المرأة كثيرة الغلط والخطأ، والإنسان لا يؤاخذها دائمًا في كل ما تقول[٢٢٣]، قال -تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٢٢٤].

---

(٢١٩) النساء: ٩٥.

(٢٢٠) الأنعام: ١٣٢.

(٢٢١) البقرة: ٢٢٨.

(٢٢٢) النساء: ٣٤.

(٢٢٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٧٧٦) بمعناه.

(٢٢٤) البقرة: ٢٣٧.

وقال: ﴿أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٢٢٥]. وقد أخذها ابن عباس من الآية بالدلالة التي فيها، فقال: الدرجة بمعنى العفو؛ لأن الرجل لا يؤاخذ المرأة، ولا يجعل عقله كعقلها في كل شيء، قد يوافقها في بعض الأمور، لكنه ليس في كل شيء، وهذه الدرجة هي العفو.

فقد تخطئ المرأة في حق زوجها، وقد ترفع صوتها، أو قد يحصل منها كلمات نابية، أو سب.. أو غير ذلك، كما هو الواقع في بعض البيوت الآن، فالرجل لا يؤاخذها، والبعض -نسأل الله السلامة والعافية- يبادر بالطلاق فورًا، بعدما يسمع منها هذا الكلام، ويقول: أنا رجل وترفع عليَّ الصوت؟!

فهذا نوع من التأمل في آيات القرآن، فتأخذ تفسير الآية من الآية، وكلمات قريبة تدل على المعنى فخذها منها، وهذا ما يسهل أصحاب الاستنباط وأصحاب التأمل في القرآن الكريم، كما كان ابن عباس، وابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، إذا فسر فتفسيره معول عليه، يقول مجاهد: وإذا جاءك التفسير عن ابن عباس فحسبك به[٢٢٦]. هذا إذا صح الأثر عن ابن عباس، وصحت الرواية عنه، فإذا صحت الرواية فحسبك بها، فإنها جاءت من حبر وعالم، ومفسر ضليع في التفسير، وهذا الأثر الذي جاء عن أم الدرداء رواه ابن مردويه[٢٢٧] والبيهقي[٢٢٨] والحاكم[٢٢٩].

---

(٢٢٥) البقرة: ٢٣٧.

(٢٢٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٧-١٠٩)

(٢٢٧) الحافظ المجود العلامة، محدث أصبهان، أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر، الأصبهاني، صاحب "التفسير الكبير"، و"التاريخ"، و"الأمالي الثلاث مئة مجلس"، وغير ذلك. مولده في سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة. كان من فرسان الحديث، فهما يقظا متقنا. مات لست بقين من رمضان سنة عشر وأربع مئة عن سبع وثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٨ ترجمة ١٨٨)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٥٠).

(٢٢٨) الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي، صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وثمانين ثلاث مئة في شعبان ومات في عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربع مئة بنيسابور، ونقل في تابوت إلى بيهق مسيرة يومين. من تصانيفه: "السنن الكبرى"، و"الخلافيات". انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣ ترجمة ٨٦)، طبقات الحفاظ (ص٨٧).

(٢٢٩) الإمام الحافظ، الناقد العلامة، شيخ المحدثين، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري، الشافعي، صاحب المستدرك. مولده في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بنيسابور. وطلب العلم في صغره بعناية والده وخاله، وأول سماعه كان في سنة ثلاثين وثلاث مئة، وقد استملى على أبي حاتم ابن حبان في سنة أربع وثلاثين

إذن تبين لنا الفرق ما بين الدرجة التي ذكرتها عائشة، والتي جاءت في الحديث، فالدرجة ما بين الدرجتين في الجنة، وقد يكون هناك تفاوت في المراتب أيضًا في البقاء في هذه الدرجة في الجنة -نسأل الله أن نكون منهم، فكل درجة تأخذ مساحة كبيرة كما نشاهد، وما بين السماء والأرض -كما جاء في الحديث الآخر: مسيرة خمسمئة عام، وهذا فضل من الله يعطيه من يشاء من عباده، كما قال -تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢٣٠].

أما الحديث الأخير، فرواه الدرامي[٢٣١] والحاكم وهو حديث عبد الله بن مسعود[٢٣٢]، وهو أيضًا يحث على تعلم القرآن وتلاوته، والله -تعالى- قال لنبيه -عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[٢٣٣]. وقال: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[٢٣٤]. وقال: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ﴾[٢٣٥]. وفي قوله -تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾[٢٣٦]. فتلاوة القرآن هي تعلمه وقراءته، وتعلم القرآن لا تكون إلا من شيخ قارئ حاذق، حتى يقيم الحروف ويبينها ويوضحها، وتكون قراءة صحيحة سليمة لها معانٍ عظيمة؛ لأن القراءة المصحوبة بالتأمل والتدبر والضبط والإتقان لها أثر حقيقة على النفس، وعلى السامع، وعلى القارئ.

وثلاث مئة وهو ابن ثلاث عشرة سنة. توفي في سنة ثلاث وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢ ترجمة ١٠٠)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٥ ترجمة ٣٢٩).

(٢٣٠) آل عمران: ١٣٣.

(٢٣١) الإمام الحافظ شيخ الإسلام بسمرقند أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي الدارمي السمرقندي. صاحب المسند العالي. ولد عام إحدى وثمانين ومئة. كان أحد الحفاظ والرحالين، موصوفا بالثقة والورع والزهد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل متقن. مات يوم التروية سنة خمس وخمسين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٢١٠ ترجمة ٣٣٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٤ ترجمة ٧٨).

(٢٣٢) سبق تخريجه.

(٢٣٣) الكهف: ٢٧.

(٢٣٤) الكهف: ٢٧.

(٢٣٥) العنكبوت: ٤٥.

(٢٣٦) النمل: ٩٢.

وفي صحيح البخاري أن رجلاً قال لابن مسعود -رضي الله عنه: يا أبا عبد الرحمن، إني قرأت المفصل البارحة في ركعة. فأنكر عليه عبد الله ابن مسعود، وقال: أهَزٌّ كهز الشعر؟![٢٣٧] فكأنه أنكر عليه هذا، وكما تقدم: لا تهزوه هز الشعر.

فالقراءة المتأنية المضبوطة في ألفاظها وحروفها تأثر حقيقة؛ ولهذا فالنبي -عليه الصلاة والسلام- هو أقرأ هذه الأمة، فكان الصحابة -رضوان الله عليهم- يتأثرون بتلاوته، كان -عليه الصلاة والسلام- يصلي المغرب بسورة الطور، وقرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٢٣٨]. فسمعها الجبير -كما في الصحيح- فأسلم[٢٣٩]، من حسن الأداء التي كان يقرأ بها النبي -عليه الصلاة والسلام، فالأداء تام، والضبط متقن، فأثرت في نفس السامع، كما أثرت في القارئ، ونقلت هذا السامع من الكفر إلى الإسلام، كما في بعض الروايات أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عندما سمع أول سورة طه[٢٤٠].

والفضيل بن عياض[٢٤١] -كما يذكر ابن قدامة[٢٤٢] في كتاب: (التوابين)[٢٤٣]- كانت توبته عندما سمع آية فكان من قطاع الطريق، فتسلق ذات مرة جدار، وسمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ

---

(٢٣٧) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة والقراءة بالخواتيم (٧٧٥)، مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ وهو الإفراط في السرعة (٨٢٢).

(٢٣٨) الطور: ٣٥.

(٢٣٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب التفسير (٤٨٥٤)، مسلم: كتاب الصلاة،باب القراءة في الصبح(٤٦٣).

(٢٤٠) أخرجه ابن أبي الدنيافي الرقة والبكاء (٩٩)، أبو عبيد في فضائل القرآن (١٤١)

(٢٤١) فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، أبو علي الزاهد، أحد صلحاء الدنيا وعبادها. ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد، وكتب الحديث بالكوفة، وتحول إلى مكة، فسكنها ومات بها في أول سنة سبع وثمانين ومئة في خلافة هارون. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨١ ترجمة ٤٧٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١ ترجمة ١١٤).

(٢٤٢) موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي ثم الحنبلي. الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام. مولده بجماعيل من عمل نابلس في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة. قدم دمشق مع أهله وله عشر سنين، قرأ القرآن، وحفظ مختصر الخرقي، وكان شيخ الحنابلة. توفي يوم عيد الفطر سنة عشرين وسبع مئة. صنف التصانيف الحسنة؛ منها: "المغني" في الفقه المقارن، و"الكافي"، و"المقنع". انظر: السير (٢٢/ ١٦٥ ترجمة ١١٢)، والذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨١ ترجمة ٣٠٠).

الْحَقِّ﴾[٢٤٤]. فتاب من هذا العمل، وصار من أعلام الأمة، وأعلام الإسلام؛ لأن ذلك القارئ قرأها بنية خالصة، فأثرت في نفسه، وأثرت في غيره.

فانظر إلى بركة القرآن؛ ولذلك وصفه الله -تعالى- بأنه مبارك، فقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾[٢٤٥]. فالبركة فيه عامة في كل شيء.

فأخلص لله -تعالى، واطلب الأجر من الله، ينفعك الله بهذا القرآن وينفع غيرك حينما تتلوه، كما مرَّ من قصص التي ذكرها العلماء في كتبهم، وكما يذكر ابن الجوزي في قصص كثيرة حينما يُتْلى عليهم القرآن الكريم، فالقرآن مؤثر، بليغ التأثير في نفس الإنسان إذا أقبلت عليه؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٢٤٦]. فالنفس البشرية إذا أقبلت تأثرت، وإذا أعرضت وأدبرت حُرِمت هذا الأجر العظيم، فهنا يقول: تعلموا هذا القرآن واتلوه. أي: أكثروا من تلاوته؛ فإنكم تؤجرون على تلاوته، ليس أجرًا عامًّا، بل أجر مفصل -كما جاء في هذا الأثر، وهو أيضًا مخرج عند الترمذي بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود[٢٤٧].

لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: الـمْ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[٢٤٨]، فمَن يستشعر هذه المعاني العظيمة وهذا الأجر الدقيق المفصل؟! يُضَم إلى هذا الأجر الوارد في سورة فاطر الآنف الذكر، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الأثر وفي غيره يحث أصحابه وأتباعه إلى تلاوة هذا القرآن الكريم، ثم جاء وصف آخر فقال -صلى الله عليه وسلم:

---

(٢٤٣) أخرجه ابن قدامة في التوابين (٧٩)

(٢٤٤) الحديد: ١٦.

(٢٤٥) ص: ٢٩.

(٢٤٦) الحشر: ٢١.

(١٠٢) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر (٢٩١٠) بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

(٢٤٨) صحيح: أخرجه الترمذي كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، (٢٩١٠) وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللهِ وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ»(٢٤٩)، فبدأ يبين أوصاف القرآن الكريم وأنه هو حبل الله الممدود العباد، كما قال -تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا﴾(٢٥٠).

وحبل الله هو القرآن كما فسرها غير واحد من الصحابة والتابعين، والقرآن هو النور، قال -تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(٢٥١)، هو النور المبين والشفاء، قال -تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾(٢٥٢)، وهو النجاة لمن اتبعه، قال -تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾(٢٥٣)، وهو النجاة والعصمة، قال -تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢٥٤)، ومن تمسك به لا يعوج فيقوم؛ ولهذا قال الله -تعالى- لنبيه: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾(٢٥٥)، والذي أوحي إليه هو القرآن.

وهو صراط الله، قال -تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾(٢٥٦)، قالوا: هو القرآن، والصراط المستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه، بل هو مستقيم لا يزيغ بصاحبه عن الحق، ولا يحتاج إلى مَن يقوِّمه؛ لأنه على الصراط والحق، لكن المعرض العاصي هو الذي يحتاج إلى تقويم.

وعجائب القرآن لا تنقضي؛ فلا يقف المسلم عند تفسير آية بقول واحد إلا ما ثبت في القرآن الكريم أو عن النبي -عليه الصلاة والسلام- لأنه لا ينطق عن الهوى لا يقول إلا حقًّا، فإذا ثبت التفسير عن النبي -عليه الصلاة

---

(٢٤٩) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٤١)، من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٨٤٢) : ضعيف.

(٢٥٠) آل عمران: ١٠٣.

(٢٥١) المائدة: ١٥.

(٢٥٢) يونس: ٥٧.

(٢٥٣) طه: ١٢٣.

(٢٥٤) آل عمران: ١٠١.

(٢٥٥) الزخرف: ٤٣ - ٤٤.

(٢٥٦) الأنعام: ١٥٣.

والسلام- في آية ما فحسبك بها ولا تعدوها إلى تفسير آخر، وكذلك إذا وجدت التفسير في القرآن فلا تعدوه إلى غيره؛ ولهذا لا تنقطع عجائبه، فأما الآيات التي ليس لها تفسير في القرآن ولا السنة ولا أقوال الصحابة فهذه نعود إلى استنباط أهل العلم من المفسرين الذين يستخرجون معانيه ودقائقه، كما قال الله -تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(٢٥٧).

فالعلماء فسروا القرآن واستخرجوا هذه المعاني والاستنباطات العجيبة، كما فعل الشنقيطي(٢٥٨) في تفسيره "أضواء البيان" في دقائق تفسيرية عجيبة قد لا تجدها في كتب التفسير المتقدمة، وهو ما يُسمَّى بالتفسير بالرأي المحمود المنطلق من الضوابط والقواعد الشرعية، هذا هو التفسير الصحيح، ومن دقائقه مثلاً في قوله -تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾(٢٥٩)، يقول أهل التفسير: يمكن أن يكون السياق بالمعية بدون التحتية، أي: كانتا مع عبدين صالحين لكن التحتية هنا لا تعني الذلة والهوان والازدراء وإنما تعني الرحمة، كما قال -تعالى- في آية أخرى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(٢٦٠)، هذه هي المودة والرحمة، وفيها أيضًا: لا يمكن أن تعلو على الرجل في بعض الأحيان وفي بعض القضايا والأمور، وهذه ولاية الزوج، وإن لم يكن لها زوج فإنها تحت ولاية الأب أو الابن أو الأخ أو العم.. أو غير ذلك، فلها وليٌّ يتولى أمورها وشئونها؛ ولهذا قال: ﴿تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾، والتحتية هنا تعني الرأفة والرحمة بها.

---

(٢٥٧) النساء: ٨٣.

(٢٥٨) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. العلامة المفسر الفقيه الأصولي المالكي. ولد سنة خمس وعشرين وثلاث مئة وألف عند ماء يسمى (تَنْبَه) من أعمال (كيفا) من موريتانيا. نشأ يتيما في بيت علم وفضل. خلف له أبوه ثروة من المال والحيوان. برع في علوم العربية والمنطق وآداب البحث والمناظرة. حباه الله ذكاء مفرطا وحافظة نادرة، مع ورع وزهد. وكان على عقيدة السلف -رحمه الله. له تواليف ممتعة؛ منها: "أضواء البيان"، و"مذكرة في أصول الفقه". توفي -رحمه الله- ضحى يوم الخميس، السابع عشر من ذي الحجة، عام ثلاث وتسعين وثلاث مئة وألف بمكة، وصلى عليه الشيخ ابن باز -رحمهما الله.

(٢٥٩) التحريم: ١٠.

(٢٦٠) الروم: ٢١.

وَلاَ يَخْلَقُ عن كثرة الرد، فالقرآن لا يخلق مهما كررته بل تتجدد لك المعاني، ويقول بعض أهل العلم: إنك إذا قرأت الآية من القرآن أو السورة ثم رجعت إليها مرة أخرى، فستخرج لك معانٍ أخرى غير المعان السابقة إلى ذهنك، مثل حبات الماس، فعندما تلفها تعطيك لونًا أحمر أو أخضر أو أصفر.. وهي حبة واحدة، لكن لها ألوان كثيرة، كذلك الآية مليئة بالمعاني والعجائب والعبر والعظات؛ ولهذا قال: «لاَ تنقطعُ عَجائبَه ولا يَخْلَقُ عن كثرةِ الردِّ»[٢٦١]، أي: لا يبلى لو رددت الآية؛ ولهذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- كما عند ابن ماجه، يمكث ليلة يردد آية في آخر سورة المائدة، وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٦٢][٢٦٣].

فالإنسان إذا قرأ القرآن ومر بآية فيها رحمة تأمل: ماذا فيها؟ ماذا أعد الله؟ وتمنى أن يكون منهم، وإذا مر بآية عذاب سأل الله العافية وأن يبعده عن هذا الطريق، ويتأمل أحوال الكافرين فيها، وإذا مر بآية فيها خلق السماوات والأرض فإنه يتأمل ويتفكر، والله -تعالى- قال: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[٢٦٤]، وقال -تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ﴾[٢٦٥] فالأمر ليس مجرد تلاوة فحسب، بل ينبغي أن نربي أنفسنا وأطفالنا الصغار على التدبر والتأمل والتذكر على حسب عقولهم ومستوياتهم العقلية؛ حتى ينشأ الصغير وهو يحب القرآن، ويحب البحث والتأمل فيه.

لأن الطفل إذا حفظ القرآن بدون تدبر فإنه يكون معرضًا للنسيان، وهذا حال الصغار في الغالب، لكن إذا اجتمع التدبر مع التلاوة التدبر والتذكر والتفكر ثبت هذا، وتعلم الصغير حب القرآن الكريم، وجاء في الحديث الثالث عشر، وقد أخرجه الدارمي والحاكم، وفيه بيان للفضل المترتب على قراءة القرآن، والأثر والرابع عشر فيه بيان الفضل والثواب، وقد أخرجه البيهقي في الشعب وابن الأنباري في الوقف، فيه بيان أيضًا لفضل قراءة القرآن وتحذير لقارئ

---

(٢٦١) سبق تخريجه.

(٢٦٢) حسن: أخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل (١٣٥٠) من حديث أبي ذر -رضي الله عنه، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: حسن.

(٢٦٣) المائدة: ١١٨.

(٢٦٤) يونس: ١٠١.

(٢٦٥) الأعراف: ١٨٥.

القرآن أن يعبث مع العابثين أو يهزل مع الهازلين، أو يلعب مع اللاعبين، أو يضيع الوقت فيما لا يفيد ولا ينفع، ولا يجهل مع الجهال الذين يذهبون لفعل المعاصي والمخالفات والمنكرات، وإنما قد منحه الله –تعالى– هذا القرآن وكأنها نبوة أتاه الله إياها؛ لأنه عندما قال: «مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَقَدِ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ – أَوْ بَيْنَ كَتِفَيهِ»[٢٦٦]، كما في الحديث؛ وذلك لأن القرآن وحي من الله –تعالى، والوحي نزل على الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وهذا القرآن هو وحي من الله –تعالى، قال –تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢٦٧]، وهو النبي –عليه الصلاة والسلام– فكأن الذي جمع القرآن وعمل بما فيه وتأمله فكأنما شارك في فضل النبوة وثوابها وأجرها، وفضل هذه النبوة يكون على قدر حفظه للقرآن.

فالمسلم يطلب الدرجات العلى والكمال في الأعمال الصالحة، ويحرص على أن يحفظ القرآن، والذي يحرص في أول حياته في حفظ القرآن والمداومة عليه والمراجعة سوف يجد هذه الثمرة بعدما تتقدم به السن والعمر، بعد أن يتجاوز الأربعين أو الخمسين أو الستين، فلا يجد فراغًا في وقته أصلاً، بل يحب أن يقرأ القرآن ويطلع على تفاسيره ومعانيه وأحكامه، لكن المعرض عن القرآن يشقى –في الغالب– في حياته.

أحب أن أضيف هنا ما يتعلق بالمراجع التي ترجعون إليها في معرفة مراتب التلاوة، فيُرجع في كتب التجويد إلى كتاب "التمهيد في علم التجويد" لابن الجزري[٢٦٨]، وكتاب "التحديد" لأبي عمرو الداني[٢٦٩] المتوفى سنة أربع وأربعين

---

(٢٦٦) ضعيف: أخرجه الحاكم في "المستدرك" (١/ ٧٣٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٥١١٨) : ضعيف.

(٢٦٧) النجم:٣: ٤.

(٢٦٨) محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الدمشقي ثم الشيرازي المقرئ الشافعي المعروف بابن الجزري. نسبة إلى جزيرة ابن عمر قرب الموصل. كان أبوه تاجرا، فمكث أربعين سنة لا يُولد له ولدٌ، ثم حج فشرب ماء زمزم بنية أن يرزقه الله ولدا عالما، فولد له صاحب الترجمة في ليلة السبت الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وخمسين وسبع مئة بدمشق، فنشأ بها، فأخذ القراءات عن جماعة. واشتد شغفه بالقراءات حتى جمع العشر ثم الثلاث عشرة، وتصدى للإقراء بجامع بنى أمية. له تصانيف كثيرة نافعة؛ منها: "النشر في القراءات العشر"، و"التمهيد في التجويد". توفي بشيراز يوم الجمعة خامس ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة. انظر: الضوء اللامع (٩/ ٢٥٥ ترجمة ٦٠٨)، والبدر الطالع (ص: ٨١٢ ترجمة ٥١٥).

وأربع مئة، فهو محرر فن القرآن، وكتاب "الموضح" للقرطبي[٢٧٠] في التجويد، وكتاب "زاد المعاد" الجزء الأول، حيث ذكر ابن القيم[٢٧١] خلاف أهل العلم في مراتب التلاوة وبينها بالأدلة، وأيضًا "فتح الباري" الجزء التاسع في فضائل القرآن الكريم، في باب: كم يقرأ من القرآن؟ عندما ذكر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ووصية النبي -عليه الصلاة والسلام- له[٢٧٢]، ويرجع أيضًا إلى كتاب النشر لابن الجزري في المجلد الأول؛ لأنه مجلدان، فيرجع إلى المجلد الأول ففيه بيان لهذه المراتب بالتفصيل عند أئمة القراء السبعة.

س: هل الذي حفظ القرآن ولم يتقنه يذكر يوم القيامة ما حفظه أم لا؟ وهل من نسي حفظه في الدنيا يكون القرآن حجة عليه؟

ج: الذي يحفظ القرآن وينساه هذا ذنب عظيم، وعليه أن يتدارك نفسه، فالذي حفظه وضيعه إثمه أشد ممن لم يحفظه ولم يضيعه؛ لأن هذه نعمة آتاك الله إياها، ولكنك فضلت غيرها عليها، فكيف تنسى القرآن الكريم؟! لكن إذا

---

(٢٦٩) عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم الأندلسي، القرطبي ثم الداني، أبو عمرو. الإمام الحافظ، المجود المقرئ، الحاذق، عالم الأندلس. يعرف قديما بابن الصيرفي. ولد سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة. رحل إلى المشرق، ودخل القيروان، ومصر، وحج، ثم قدم دانية، فسكنها حتى مات. كان أحد الائمة في علم القرآن رواياته وتفسيره ومعانيه، وطرقه وإعرابه، وجمع في ذلك كله تواليف حسانا مفيدة؛ منها: "المقنع في القراءات والتجويد"، و"التيسير". توفي في شوال سنة أربع وأربعين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٧٧ ترجمة ٣٦)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٠٦ ترجمة ٣٤٥).

(٢٧٠) الإمام أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي، مؤلف كتاب "المفتاح" في القراءات، ومقرئ أهل قرطبة. ولد سنة ثلاث وأربع مئة. رحل في طلب القراءات إلى الأهواز، وحران، ومصر، ومكة، ودمشق. وكان عجبا في تحرير القراءات، ومعرفة فنونها. وقرأ عليه ابن النحاس وجماعة. توفي في ذي القعدة سنة إحدى وستين وأربع مئة. انظر: الصلة لابن بشكوال (١/ ٣٦٢ ترجمة ٨١٤)، ونفح الطيب (٢/ ٦٣٧ ترجمة ٢٦٣).

(٢٧١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(٢٧٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (٥٠٥٢)، ومسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به (١١٥٩).

كان النسيان في الجبلة الإنسان فهذا الإنسان معذور فيه، وأما لو تركه وأهمله ولم يراجع القرآن ولا يقرأه فهذا عرض نفسه للخطأ، وحرم نفسه من الخير، فلا شك أنه على خطر عظيم إذا كان قد حفظ القرآن وقرأه ثم ضيعه، وعليه أن يبادر ويسارع إلى اغتنام ما فات من الوقت. س: هل في حديث عبد الله بن عمرو أنه «يقال لصاحب القرآن»[٢٧٣] هل خاص بالحفظ فقط أم أنه شامل لكثرة القراءة وإن لم يحفظ، مع الدليل لما تختار؟

ج: ذكر العلماء أن حفاظ القرآن لهم خاصية دون غيرهم، فالذي يقرأ القرآن وليس بحافظ له فالحافظ في درجة أعلى؛ لهذا لما قال: «إِنَّ لله أَهَالِينَ...»[٢٧٤]، قال العلماء هم الذين يحفظون القرآن، وحفظ القرآن مزية وفضل عظيم، قال -تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[٢٧٥]، يعني: يحفظونه حفظًا، فلا شك أن الذي يحفظ أعلى ممن لم يحفظه، فالأجر يتفاوت في هذا الأمر.

س: ما فضل تعلم اللغة العربية؟ وهل الإكثار منها يسهل تحصيل للعلوم الشرعية؟

ج: تعلم العربية إما أن يكون تعلم النطق، فالكل ينطق العربية، وكل ناطق بالعربية يحرص على أن يتعلمها، وإما أن يتعلم علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة، فهذا علم فيه فائدة ومنفعة يدله إلى معرفة كنوز القرآن وعجائبه وأسراره وتفسيره، لكنه لا ينسى نفسه من القرآن الكريم، فتعلم اللغة العربية فيه خير وفضل عظيم؛ لأنه خدمة لكتاب الله -تعالى، صلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(٢٧٣) حسن صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦٧٩٩)، أبو داود: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة (١٤٦٤)، الترمذي فضائل القرآن عن رسول الله باب من قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر (٢٩١٤)، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

(٢٧٤) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١٢٢٧٩)، ابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (٢١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: صحيح.

(٢٧٥) العنكبوت: ٤٩.

قال المؤلف -رحمه الله: (بَابُ فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ.. عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ[٢٧٦] قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ[٢٧٧] يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ[٢٧٨] عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ شُعْبَةُ[٢٧٩]: قُلْتُ لَهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٢٨٠]، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فَذَلِكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا، فَكَانَ يُعَلِّمُ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ إِلَى إِمْرَةِ الْحَجَّاجِ[٢٨١]، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -

---

(٢٧٦) علقمة بن مرثد، الإمام الفقيه الحجة، أبو الحارث الحضرمي الكوفي. حدث عن أبي عبدالرحمن السلمي، وطارق بن شهاب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وسعد بن عبيدة، وأمثالهم. عداده في صغار التابعين، ولكنه قديم الموت. حدث عنه غيلان بن جامع، وأبو حنيفة، والأوزاعي، وشعبة، وسفيان الثوري، ومسعر بن كدام، والمسعودي وآخرون. قال الإمام أحمد: هو ثبت في الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. توفي سنة عشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٠٨ ترجمة ٤٠١٨)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠٦ ترجمة ٨١).

(٢٧٧) سعد بن عبيدة، الإمام الثقة، أبو حمزة السلمي الكوفي، من علماء الكوفة، وكان زوج ابنة أبي عبدالرحمن السلمي. حدث عن ابن عمر، والبراء بن عازب، والمستورد بن الأحنف. وعنه زبيد اليامي، وإسماعيل السدي، ومنصور، والأعمش، وفطر بن خليفة. وثقه النسائي وغيره. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. مات في الكهولة في حدود سنة بضع ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٢٩٠ ترجمة٢٢٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٩ ترجمة ٥).

(٢٧٨) أبو عبد الرحمن السلمي، مقرئ الكوفة، الإمام العلم، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-. أخذ القراءة عرضا عن عثمان، وعلي، وزيد، وأبي، وابن مسعود. أخذ عنه القرآن: عاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، وعطاء بن السائب وعبد الله بن عيسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، ومحمد بن أبي أيوب، والشعبي، وإسماعيل بن أبي خالد، وعرض عليه الحسن والحسين -رضي الله عنهما-. وقد كان ثبتا في القراءة، وفي الحديث حديثه مخرج في الكتب الستة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت، مات بعد السبعين. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٤٠٨ ترجمة ٣٢٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٧ ترجمة ٩٧).

(٢٧٩) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، أبو بسطام الواسطي مولى عبدة بن الأغر مولى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. الإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل. كان من أوعية العلم، لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ متقن. ولد سنة ثمانين، في دولة عبد الملك بن مروان، ومات سنة ستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٧٩ ترجمة ٢٧٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٢ ترجمة ٨٠).

(٢٨٠) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧) من حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

(٢٨١) الحجاج بن يوسف الثقفي. ولد سنة خمس وأربعين. كان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء. وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن. ساق الذهبي من سوء سيرته في تاريخ الإسلام، وحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢٨٢)، وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ(٢٨٣) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢٨٤)، قَالَ: وَأَخَذَ بِيَدِي فَأَقْعَدَنِي فِي مَجْلِسِي أُقْرِئُ، وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ(٢٨٥) قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ أَوِ الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ فَيَأْخُذَهُمَا فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ؟»، قَالَ: قُلْنَا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ الله يُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «فَلأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ الله خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»(٢٨٦)).

فهذا باب في فضل مَن تعلم القرآن وعلمه، وقد ساق المؤلف عددًا من الأحاديث الواردة في هذا الفضل، ومنها حديث علقمة، وعلقمة هو علقمة بن مرثد الحضرمي، وقد وثقه أهل العلم وابن حجر(٢٨٧) كما في التقريب، وقال

استأصله الله. نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله؛ فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. له حسنات مغمورة في بحر ذنوبه. وأمره إلى الله. وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء. قال ابن حجر في التقريب: وقع ذكره وكلامه في الصحيحين وغيرهما، وليس بأهل أن يُروى عنه. أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلا. انظر: تاريخ الإسلام (٢/ ١٠٧١ ترجمة ٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٣ ترجمة ١١٧).

(٢٨٢) صحيح لغيره: أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند (١٣١٨)، الترمذي: كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما في تعليم القرآن (٢٩٠٩) وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح لغيره.

(٢٨٣) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني. كان فاضلاً كثير الحديث. روى عن علي والكبار. كان ثقة كثير الحديث وذكره بن حبان في كتاب الثقات. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. مات سنة ثلاث ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٤ ترجمة ٥٩٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥٠ ترجمة ١٢٥).

(٢٨٤) حسن صحيح: أخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن (٢١٣)، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: حسن صحيح.

(٢٨٥) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني. روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كثيرا. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. كان قارئا عالما بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعرا، كاتبا، وهو أحد من جمع القرآن. مات عقبة في خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب (ص: ٥٦١ ترجمة ١٨٩٨)، والإصابة (٤/ ٥٢٠ ترجمة ٥٦٠٥).

(٢٨٦) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (٨٠٣).

(٢٨٧) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر، شهاب الدين أبو الفضل الكناني العسقلاني الشافعي. قاضي القضاة، حافظ زمانه. نشأ يتيما، وأكمل حفظ القرآن في التاسعة من عمر، وصلى التراويح بالناس في الحرم المكي وله اثنا عشر عاما. رحل حبا في العلم

الإمام أحمد: هو ثبت في الحديث، قال: سمعت سعد بن عبيدة السلمي أبا حمزة الكوفي وهو أيضًا ثقة عن عبد الرحمن السلمي وهو عبد الله بن حبيب الكوفي المقرئ مشهور عند أهل العلم بكنيته ثقة ثبت، تصدر للتعليم، وتعلم على يديه عدد كبير من الطلاب وصاروا من أهل الإقراء؛ لأنه قرأ على وعثمان -رضي الله عنه- وتوفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

والحديث الأول: أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي، وحديث عليٍّ أخرجه أحمد والدارمي والترمذي، وحديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص وهو أيضًا ثقة توفي سنة مئة وثلاثة، وأبوه هو سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهذا الحديث أخرجه أيضًا الدارمي وابن ماجه، أما حديث عقبة بن عامر ففي صحيح مسلم وعند أحمد وأبي داود، وأصله في صحيح البخاري من حديث عثمان -رضي الله عنه: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٢٨٨]، وجاء في بعض الروايات: «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ»[٢٨٩].

ولما سمع عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي هذا الحديث أثَّر في نفسه تأثيرًا بالغًا، وكان سببًا في جلوسه في المسجد لإقراء القرآن الكريم كما جاء في هذا الأثر، وأنه مكث من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج، أي: ما يزيد على ثلاثين عامًا، كلها في إقراء القرآن الكريم رغبة في الحصول على هذه الخيرية وهذا الثواب العظيم الذي أعده الله -تعالى- لمن علَّم القرآن.

والقرآن الكريم أنزله الله -تعالى- وجعل فيه الخير والبركة، أنزله الله -تعالى- رحمة لهذه الأمة وهداية لها، كما قال -تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢٩٠]، وجعله صراطًا مستقيمًا لمن أراد الاستفادة منه وأراد اتباعه،

وتطلبا للشيوخ. من أبرز شيوخه: ابن الملقن، والسراج البلقيني، وأبو الحسن الهيثمي. من أبرز تلاميذه: السخاوي، ابن قاضي شهبة، ابن تغري بردي. له مؤلفات حسان؛ أهمها: "فتح الباري"، و"لسان الميزان"، و"الدرر الكامنة". ولد سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة، وتوفي سنة ثنتين وخمسين وثمان مئة. انظر: الضوء اللامع (٢/ ٣٦ ترجمة ١٠٤)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٣ ترجمة ١٠٢)، وله ترجمة موعبة في الجواهر والدرر لتلميذه السخاوي.

٢٨٨ سبق تخريجه.

(٢٨٩) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٨).

(٢٩٠) الإسراء: ٩.

وأخرج الله بهذا القرآن الكريم الناس من الظلمات إلى النور، وهداهم به إلى الصراط المستقيم، فمن أحب أن يكون قريبًا من الله –تعالى– دائم الصلة به مذكورًا عنده فعليه أن يداوم على هذا قراءة القرآن، ولا ثمة سبيل ولا طريق إلا من طريق القرآن الكريم، ولأجل هذا نال قارئ القرآن ومقرؤه هذه الخيرية الواردة في هذا الحديث.

وقوله –عليه الصلاة والسلام: «خَيْرُكُمْ»، خير هنا بمعنى أفعل التفضيل، بمعنى: أخيركم أو أكثركم نفعًا وأرفعكم منزلة، وقد تأتي خير أحيانًا ولا يقصد بها التفضيل؛ لأنه قد يقصد بها بيان مكانة شيء وإظهاره، كما جاءت الآية في سورة الفرقان حينما قال الله –تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[٢٩١]، فلا مفاضلة بين الجنة والنار أبدًا، وكما جاء في البيت لحسان حينما قال:

أتهجوه ولست له بكفء *** فشركما لخيركما الفداء

فلا يمكن أن يفاضل بين النبي –عليه الصلاة والسلام– وبين غيره، كما أنه لا يصح أن يفاضل بين الجنة والنار، وإنما أراد الله –تعالى– أن يبين مكانة هذه الجنة ويرد على المشركين وعلى الكفار حينما كذبوا بذلك اليوم؛ لأن الله –تعالى– قال قبلها: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٢٩٢]، ثم قال: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.

وقوله –صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، تعلم القرآن يدخل فيه حفظه وتجويده وإقامة حروفه وإعرابها ومدارسته وفهم معانيه وتدبر آياته ومعرفة المقاصد العظيمة التي من أجلها نزل هذا القرآن العظيم ومعرفة أحكامه وحلاله وحرامه وعبره ومواعظه وزواجره وأوامره ونواهيه، هذا هو تعلم القرآن، وليس المقصود القراءة فحسب، إنما القراءة المصحوبة بالعمل والعلم، والعلم لا يكون إلا من التدبر كما تقدم، ولا بد من تعلم آياته وحفظها وإتقانها وضبطها وتعلم الأحكام التي فيها والآداب التي اشتملت عليها، هذا يدخل في تعلم القرآن.

ثم يتعدى هذا النفع إلى الآخرين ولا يقتصر على نفسه فحسب، بل يسعى في تعليم غيره من الناس، فهذا من النفع المتعدي إلى الآخرين، وأشرف ما يتعلمه الإنسان ويعلمه هو القرآن الكريم، ويدخل في هذا الحديث أيضًا الذي

---

(٢٩١) الفرقان: ١٥.

(٢٩٢) الفرقان: ١١ – ١٢.

يسعى في تعلم القرآن أو في تعليم القرآن؛ لأنه يقول: «وَعَلَّمَهُ»، وقد ذكر العلماء منهم ابن حجر وغيره أن الذي يسعى إلى توفير أسباب تعلم القرآن من: المكان والتهيئة والطعام والشراب والمصاحف وكل الوسائل المتعلقة بذلك تشمله هذه الخيرية وهذه الرفعة حسب ما يقدمه وحسب ما يعمله، مع التفاوت في هذا الخير والفضل، لكن الذي يسعى في جمع الناس على القرآن الكريم، وإن لم يكن متعلمًا القرآن الكريم، لكنه سعى ودل الناس عليه، وحث الناس على حفظه، وهيأ المكان وأمَّن الوسائل التي يحتاجها المعلم والمتعلم فهو -إن شاء الله- داخل في هذه الخيرية، كما ذكر ذلك أهل العلم؛ لأن مَن دل على خير فله مثل أجره.

وهذا الحديث دل على فوائد منها، أولاً: حصول الخيرية لمن تعلم القرآن وعلمه، واقترن ذلك بالإخلاص لله -تعالى.

الثاني: فضل العلم المتعدي نفعه للآخرين؛ لأنه قال: «وَعَلَّمَهُ»، والفعل المتعدي النفع لا شك أنه أفضل من العمل القاصر، فالذي يتعبد الله لنفسه كأن يكثر من النوافل أو من الصيام أو من قراءة القرآن هذا عمل خير، ويثاب عليه، لكن إذا كان هذا العمل يتعدى إلى الآخرين فإن الفضل أكثر؛ ولهذا الله -تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢٩٣].

وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»[٢٩٤]، وحثَّ على السعي على الأرملة والمسكين والضعيف هذه أعمال متعدية النفع للآخرين، والصحابة والتابعون -رضوان الله عليهم- يسعون إلى تعليم غيرهم ممن لم يتعلم القرآن الكريم، كما فعل عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي؛ حيث مكث في هذا المكان أكثر من ثلاثين عامًا في المسجد يعلم فيه القرآن ليحصل على هذا النفع المتعدي؛ لأنه يعلم أنه إذا علم هذا الإنسان القرآن سوف يعلم غيره، وهذا يعلم غيره، حتى وصل إلينا، فالخير ينال هؤلاء كلهم، فهؤلاء نظروا نظرة بعيدة إلى المنفعة والمصلحة العامة للمسلمين، فقدموا هذا العمل على غيره من الأعمال.

---

(٢٩٣) الحج: ٧٧.

(٢٩٤) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيمًا (٦٠٠٥). من حديث سهل بن سعد.

أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٢٩٨٣) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

ومما دل عليه الحديث أيضًا من الفوائد:

الترغيب في تلاوة القرآن والحث على المداومة على تلاوته، يضم هذا الفضل إلى الآيات التي وردت في القرآن الكريم، ومن الفوائد كذلك: أن القرآن أشرف العلوم على الإطلاق؛ لأن الله وعد بهذا الأجر والثواب على لسان نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- لمن قرأه، ومن الفوائد أيضًا: أن شرف العلم بتعليم الآخرين لهذا القرآن؛ لأن من علم غيره يستلزم منه أن يكون عالمًا، كما قال الله -تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢٩٥].

فلا يدعو إلى الله إلا مَن تعلم وعلم وتفقه، فإذا تفقه وتعلم وعلم غيره دخل في هذه الآية، بعكس الكافر الذي هو على كفره ويصد الناس عن دينهم بهذا الكفر، كما قال الله -تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾[٢٩٦].

وهنا ينشأ سؤال: إذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٢٩٧]، فهل يلزم من هذا الحديث أن يكون المقرئ أفضل من الفقيه المتفقه في الدين الذي يعلم الناس أمور دينهم؟

قال ابن حجر: لا يلزم من ذلك؛ لأن المخاطبين بذلك -يعني بالحديث- كانوا فقهاء، وهم أهل اللسان، فكانوا يعلمون معاني القرآن بالسليقة أكثر من غيرهم بالاكتساب؛ فكان الفقه لهم سجية، ومن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك؛ لأن مَن كان قارئًا أو مقرئًا ومتقنًا وضابطًا لكنه لا يفهم معاني القرآن ولا يفهم أحكامه ولا يفهم الدلائل لا يستطيع أن يستنبط هذا، نقول: إن له ثواب وأجر التلاوة، وينالله من الخير والخيرية والفضل والمنزلة بحسب حفظه وتعلمه للقرآن، فإذا وجد إنسان لا يعرف شيئًا من أمور الدين إلا ما يتعبد الله -تعالى- به، ولكنه متقن للقرآن وحافظ، فهذا على أجر عظيم وينالله من الخيرية بقدر ما عنده من هذا الحفظ، ومَن كان قارئًا ومقرئًا وهو يخالف نصوص القرآن في الفهم فهذا وَبَال عليه، كما كان الخوارج يفعلون ذلك والنبي -عليه الصلاة والسلام- قد حذر

---

(٢٩٥) فصلت: ٣٣.

(٢٩٦) الأنعام: ١٥٧.

٢٩٧ سبق تخريجه.

منهم؛ حيث قال: «يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»(٢٩٨)، أو قال: «لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهِمْ»(٢٩٩)، فهم لا يعملون بالقرآن، وإن عملوا به عملوا على خلاف الهدي الصحيح والسنة الصحيحة، كما فعلوا على مدار تاريخ الإسلام منذ أن نبتت نبتتهم وإلى يومنا هذا، فهم يفهمون القرآن فهمًا معكوسًا على غير فهم السلف الصالح لهذا القرآن العظيم، حتى إنهم كما يقول ابن عباس -رضي الله عنه- عمدوا إلى آيات نزلت في الكفار فنزَّلوها على المسلمين، واستباحوا بذلك دمائهم وأعراضهم وقتلوهم وأثاروا الفتن.

فمثل هؤلاء لا يشملهم هذا الأثر ولا الآثار التي وردت في فضل القرآن، لكن الذي يتعلم القرآن ويعلمه على قدر طاقته واستطاعته فنقول: إنه ينال من الأجر والخيرية والثواب بقدر ما يحصله من علم وعمل، والصحابة -رضوان الله عليهم- هم المخاطبون بهذا الحديث، ولكنه شامل، فهو يشملهم ويشمل مَن بعدهم.

قال ابن حجر: ومَن كان في مثل شأنهم شاركهم في هذه الخيرية الموعود بها، وإلا فالأمة بمجموعها موصوفة بالخير؛ كما قال الله -تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٣٠٠).

فأهل القرآن العاملون به المتدبرون لآياته وأحكامه العاملون بها هؤلاء هم صفوة الناس، وهم قريبون من الله -تعالى- كما تقدم في الحديث السابق: «إِنَّ للهِ أَهْلِينَ». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»(٣٠١)، فينبغي أن نفهم هذا المعنى وألا ننزله إلا على مَن يستحقه.

وقد جاء هذا الوصف لمن قرأ القرآن وعلمه؛ لأن القرآن خير الكلام والعلوم؛ فتعلمه وتعليمه خير من تعلم غيره من سائر العلوم؛ لأنه مشتمل على علوم شتى؛ مثل: علوم الاعتقاد والفقه والتفسير والتاريخ... فهو أفضل العلوم بالنسبة إلى غيره من العلوم الأخرى.

---

(٢٩٨) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به (٥٠٥٨)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه.

(٢٩٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٧٥٦٢، ٣٦١٠)، مسلم: كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣٠٠) آل عمران: ١١٠.

٣٠١ سبق تخريجه.

والحديث الثامن عشر -حديث عقبة بن عامر- عند مسلم[٣٠٢] وأحمد[٣٠٣] وأبي داود[٣٠٤]، يقول: خرج إلينا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ونحن في الصُّفة -المراد بالصفة هنا الموضع المظلل في مؤخرة المسجد النبوي بالمدينة، يسكنه مَن لم يكن له منزل من الفقراء والمحتاجين ومن قدم إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- من ضواحي المدينة ليتعلموا العلم ويقرؤوا القرآن- وقال: «أَيُّكُمْ يَغْدُو»، أي: يذهب في وقت الغدو وهو أول النهار، وبطحاء مكة هو موضع قرب المدينة مكان موضع قرب المدينة «إِلَى بُطْحَانَ أَوِ الْعَقِيقِ»، والعقيق وادٍ مشهور من أودية المدينة، «فَيَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ»، كوماوين: تثنية كومة أنثى أكوم، والأكوم نوع من أنواع البعير الضخم الجسم والسنام رفيع السنام -يعني أنفسُها وأحسنها- «زَهْرَاوَيْنِ»، تثنية زهراء، والزهر هو الحسن والبهجة، قال: «بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ»، يعني: أنها من أنفس النوق وأجملها وأحسنها وأسمنها، فمن كانت كذلك من النوق فهي ذات قيمة نفيسة عند العرب.

وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يضرب الأمثلة للصحابة بما كانوا يعايشونه ويفتخرون به ويحبونه، وكانت العرب في ذلك الوقت يحبون الإبل ويتنافسون في تربيتها وشرائها، كما قال الله -تعالى- مذكرًا لهم بها: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٣٠٥]، مع أنه يوجد شيء أكبر من الإبل في الخلقة، لكنه ذكر الإبل لأنها مشتهرة عندهم ومعروفة، وكما جاء في الحديث الآخر: «خُيْرٌ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ»[٣٠٦]، فالتمثيل بالإبل كثير في السنة النبوية؛ لأنها من أنفس الأشياء عندهم من بهيمة الأنعام، فيضرب لهم المثل بهذا الأمر ليتحفزوا لهذا العمل الذي سيقدمون عليه ويفعلونه.

---

٣٠٢ أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة (٨٠٣) بنحوه.

(٣٠٣) أخرجه أحمد في المسند (١٧٤٠٨).

(٣٠٤) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن (١٤٥٦).

(٣٠٥) الغاشية: ١٧.

(٣٠٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي -رضي الله عنه- (٣٧٠١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فقضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد -رضي الله عنه-.

قال: «فَيَأْخُذُهُمَا فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ»[٣٠٧]، يعني: في غير معصية، قال: قلنا: كلنا يا رسول الله يحب ذلك، أي أنهم يحبون أن يأخذوا هذا الشيء وأن يتحصلوا عليه، ثم دلهم على ما يشابه ذلك أو أفضل منه ليشجعهم ويحفزهم عليه فقال: «فَلأَنْ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»، أي: من خمس ومن ست.. إلخ، وهذا من باب المتقدم من باب التمثيل والتقريب للصحابة -رضوان الله عليهم- حتى يقبلوا على هذا الخير، وأن ما سيذهبون إليه في تعلم القرآن الكريم أو جزء منه وهو آيات فقط، وهو خير من هذا الذي أنتم تظنون والذي تحبون؛ لأنهم قالوا: كلنا يحب ذلك يا رسول الله.

وقد مثَّل لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالآية وليس بالسورة ولا بالجزء؛ وذلك ليقربهم من تلاوة القرآن الكريم، وإلا فإن الدنيا كلها حقيرة أمام كتاب الله -جل وعلا- ولا تقابل بشيء من معرفة أمر وارد في كتاب الله، وهذا من باب الحث والترغيب في تلاوة القرآن الكريم، وهذا يدلنا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يستخدم الأمثلة لأصحابه، وأنتم تعلمون أن الحديث الوارد عند قوله-تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[٣٠٨].

من ذلك أيضًا ما ورد عن عبد الله بن مسعود، إذ قال: خط النبي -صلى الله عليه وسلم- خطًّا وخط عن جانبه خطوطًا وقال: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ وَهَذِهِ سُبُلُ الشَّيْطَانِ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا»[٣٠٩]، فكان يمثل -عليه الصلاة والسلام- ويضرب الأمثلة لأصحابه، وأحيانًا كان يمثل لهم بيده وذلك عندما قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»[٣١٠]، وأشار بالسبابة، وقال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»[٣١١]، وقال في عدِّ الشهر: «الشَّهْرُ هَكَذَا

---

٣٠٧ سبق تخريجه.

(٣٠٨) الأنعام: ١٥٣.

(٣٠٩) أخرجه أحمد في المسند (٤٤٣٧، ٤١٤٢) من حديث ابن مسعود. وأصله في صحيح البخاري بمعناه.

(٣١٠) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- بعثت (٦٥٠٤)، مسلم: كتاب الفتن واشراط الساعة، باب قرب الساعة (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد -رضي الله عنه.

٣١١ سبق تخريجه.

وَهَكَذَا»[٣١٢]، فكل شيء كان يرغب النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يوصله إلى الصحابة فإنه يسعى إلى توصيله، وقد فعل، فما من خير إلا دل عليه ولا شر إلا حذر منه، ففي هذا الحديث وسيلة من وسائل التمثيل التي تدفع الإنسان وتشجعه وتحسه على فعل الخير والإقدام عليه، وأنه سوف ينال أكثر مما ضُرِب له من هذا المثل، فجعل الناقة بمثابة الآية والناقتين بمثابة الآيتين، سواء قصرت أم طالت.

فلو فكر الإنسان وتأمل هذه الأحاديث التي ذكرها النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحث على تلاوة القرآن والإقبال عليه وقراءته ما سمحت له نفسه أن يضيع لحظة واحدة في حياته إلا وفيها عمل صالح يقدمه لربه -جل وعلا- إما عمل قاصد أو عمل متعدي نفع.

فالذي يحرص على هذا فإنه قد قدم أعمال الدنيا على الآخرة، ومَن حرص على الآيات وحفظها على تلك قدم أعمال الآخرة على الأولى، وقد قال الله -تعالى- للنبي: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾[٣١٣]، وقال: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٣١٤]، فعمل الآخرة هو الذي يبقى ويدوم ويزيد وينفع الإنسان في دنياه وأخراه، وهذا كله في القرآن الكريم؛ ولهذا جاء الحث والترغيب في فضل هذا القرآن الكريم وتعلمه، وكان الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- متميزون بالاهتمام بالقرآن وحفظه وتلاوته وتعليمه، كما كان أبيٌّ[٣١٥] -رضي الله عنه- وسماه النبي -عليه الصلاة والسلام- في

---

(٣١٢) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا رأيتم الهلال (١٩٠٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٠٨٠) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما.

(٣١٣) الضحى: ٤.

(٣١٤) الأعلى: ١٧.

٣١٥ أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدري، ويكنى أيضا أبا الطفيل. شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعرض على النبي -عليه السلام-، وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل -رضي الله عنه-. قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: « ليهنك العلم أبا المنذر». مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٢ ترجمة ٢)، وأسد الغابة (١/ ١٦٨ ترجمة ٣٤).

قوله: «أَقْرَأُكُمْ أُبَيٌّ»، وأثنى على أبي موسى الأشعري[٣١٦] وعبد الله بن مسعود ومعاذ[٣١٧] وعليٍّ وعثمان بما عندهم من القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[٣١٨][٣١٩].

(بَابُ فَضْلِ الاجْتِمَاعِ فِي الْمَسْجِدِ لِدَرْسِ الْقُرْآنِ.. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَا تَجَالَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[٣٢٠]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله -عَزَّ وَجَلَّ- يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[٣٢١]، وَعَنْ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ[٣٢٢] عَنْ أَبِيهِ[٣٢٣] قَالَ: قُلْتُ

---

(٣١٦) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٥١ ترجمة ٣١٣٧)، والإصابة (٤/ ٢١١ ترجمة ٤٩٠١).

(٣١٧) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي. أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود. توفي في طاعون عَمَوَاس سنة ثماني عشرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٥٠ ترجمة ٢٢٧٠)، وأسد الغابة (٥/ ١٨٧ ترجمة ٤٩٦٠).

(٣١٨) المائدة: ٥٤.

(٣١٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب -رضي الله عنه- (٣٨٠٨)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود (٢٤٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما.

(٣٢٠) أخرجه أبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (ص١٤).

٣٢١ أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٢٦٩٩).

(٣٢٢) هارون بن عنترة بن عبد الرحمن، أبو عبد الرحمن الشيباني الكوفي، ابن أبي وكيع. قال ابن حجر في التقريب: لا بأس به. مات سنة اثنتين وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ١٠٠ ترجمة٦٥٢١)، وميزان الاعتدال (٤/ ٢٨٤ ترجمة ٩١٦٥).

(٣٢٣) عنترة بن عبد الرحمن، أبو وكيع الشيباني الكوفي. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: ثقات ابن حبان (٧/ ٣٠٣ ترجمة ١٠١٨٥)، وتهذيب الكمال (٢٢/ ٤٢٣ ترجمة ٤٥٣٩).

لابْنِ عَبَّاسٍ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفضَلُ؟ قَالَ: ذِكْرُ الله أَكْبَرُ، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله -عَزَّ وَجَلَّ- يَتَدَارَسُونَ فِيهِ كِتَابَ الله وَيَتَعَاطَوْنَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ أَظَلَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا وَكَانُوا أَضْيَافَ الله -تَعَالَى- مَا دَامُوا فِيهِ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)[٣٢٤].

الحديث الأول، هو عند مسلم وعند أحمد، وابن ماجه، وأبي داود، والثاني عند مسلم، والثالث لم أقف عليه.

الذي عند مسلم هو جزء من الحديث، عندما قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ». هذا جزء من الحديث، والحديث في صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم، وأوله: «مَنْ نَفَّثَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّثَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُسْلِمٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله»... إلى آخر الحديث.

هذا الحديث العظيم في قوله: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ»، أو «مَا تَجَالَسَ قَوْمٌ»، قال النووي[٣٢٥] -رحمه الله تعالى: في هذا الحديث دليلٌ على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم في المسجد، وذكر أنه يلحق بهذا -أي بهذا الفضل- ما كان الاجتماع في مكان آخر لمدارسة القرآن، كأن يكون في مدرسة، أو رباط، أو مكان آخر يجتمع فيه الناس، أو يجتمع فيه أهل القرآن؛ ليقرؤوا القرآن فيما بينهم ويتدارسونه، وقد يلحق به أيضًا ما يتدارس به طلاب العلم في تفسير الآيات، ومعانيها ودلالتها، فيقرؤون الآيات، ويقرؤون المعاني التي فيها، ويقرؤون التفسير؛ ليصلوا إلى المعاني والأحكام التي في هذه الآيات.

---

(٣٢٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣٠٨)، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٠١) : روي مرفوعا والموقوف أصح.

(٣٢٥) يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن ين حسين، أبو زكريا الحزامي النووي الشافعي الدمشقي، الحافظ الزاهد، أحد أعلام الشافعية. ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مئة. صرف أوقاته في العلم والعمل به، وتبحر في الحديث والفقه واللغة. كان في لحيته شعرات بيض، وكان عليه سكينة ووقار في البحث مع الفقهاء. له مؤلفات جياد أثنى عليها الموافق والمخالف؛ منها: "المجموع"، و"روضة الطالبين". توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مئة. انظر: "تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين" لابن العطار.

قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ»، والقوم هنا: الجماعة من الناس، سُمُّوا بذلك؛ لأن بهم تقوم مهام الأمور، ولا يطلق هذا اللفظ في أصل اللغة إلا على الرجال فحسبُ، ولا يدخل فيه النساء -في هذا اللفظ، كما قال الله -تعالى- في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾[٣٢٦]، ثم قال: ﴿وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[٣٢٧]، ففصل بين القوم وبين النساء، فدل على أن القوم يطلق على الرجال خاصة، كما قال زهير[٣٢٨] أيضًا:

وما أدري ولست إخال أدري ❊❊❊ أقومٌ آل حصن أم نساء

أي: أهم رجال أم نساء أهل هذا المكان؟ لكن لا يؤخذ من هذا أن قوله -عليه الصلاة والسلام: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ». أن النساء لا يقرأن القرآن، ولا ينلن الأجر ولا الثواب، بل يدخل في ذلك النساء، فإذا كُنَّ في مكان أو في المسجد، فالمرأة إذا جاءت للصلاة في مكانها المعد لها والمخصص لها، أو دخلت الحرم المكي أو النبوي، وجلست تقرأ القرآن، أو تقرأ مع مَن بجوارها، فهي داخلة في هذا الفضل العظيم، وإنما ذلك في المعنى اللغوي، ولا يفهم من هذا أنها لا تدخل في هذا الفضل، بل الفضل شامل للذكر والأنثى؛ لأن الكل مكلف بالعبادة، وبتعلم العلم.

أما في الأمور الأخرى التي لا يمكن أن يشترك فيها الرجال مع النساء، فهذا لا تدخل فيه النساء، كقوله -عليه الصلاة والسلام: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ»[٣٢٩]. فالنساء لا يدخلن في هذا، وفي قوله -عليه الصلاة والسلام: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ».

---

(٣٢٦) الحجرات: ١١.

(٣٢٧) الحجرات: ١١.

(٣٢٨) زهير بن أبي سلمى -واسمه ربيعة- ابن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وهما: امرؤ القيس، والنابغة الذبياني. عاصر الحروب التي نشبت بين عبس وذبيان، وقد أسهمت عشيرة أخواله في تلك الحروب وصليت نارها. وكان شاعرا مجيدا، وسيدا شريفا ثريّا. لم يدرك الإسلام على الصحيح، وابنه هو الصحابي الجليل كعب بن زهير. انظر: الأغاني (١٠/ ٢٨٨)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٦٣).

(٣٢٩) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (٦٧٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري.

رد على مَن يقول بإمامة النساء؛ لأن القوم المراد بهم الرجال خاصة دون غيرهم، ولا يقول أحد بأن المرأة تؤم الرجال، فهذا الحديث يرده.

ففي هذا فضل عظيم، والتحلق لأجل قراءة القرآن وتعليمه من الأمور التي ندب إليها الشارع الحكيم، وحثَّ عليها في آيات عامة، وفي أحاديث خاصة كما في هذا الحديث، لكن هذا الحديث عندما بين السبب الذي من أجله الاجتماع، وهو في بيت من بيوت الله، وبيوت الله هي المساجد، قال الله -تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٣٣٠]، ولا يذكر في هذه المساجد إلا القرآن الكريم، وما يدخل في بيانه ومعناه؛ من الدروس والمحاضرات والفتاوى، فهذه كلها داخلة في علوم القرآن الكريم.

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ». أي: في هذه المساجد، «يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ». أي: يقرؤونه ويتعلمونه فيما بينهم، ويتدارسونه، فهذا يُعَلِّم هذا، وهذا يعلم هذا، وهذا يشرح لهذا، وهذا يفسر لهذا؛ ولهذا قال: «يَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ».

فبيَّن من هذا الاجتماع، وهذا اللقاء الفضلَ المترتب عليه، وثمرة هذا الاجتماع، ونتيجة ذلك أن يكون عليه الأجر، وهو ما جاء ذكره في هذا الحديث، قال: «إِلاَّ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ». فالملائكة تتبع الأماكن التي فيها ذكر الله -تعالى، وتقف على رياض الصالحين، فالعلم روضة من رياض الصالحين، فتأتي الملائكة وتجالس هؤلاء القوم؛ ولهذا قال: «حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ». أي: أحدقت بهم، وجلست حولهم، وإن لم يروها، وقد تقدم فيما سبق أن أُسيد بن حُضير[٣٣١] كان يقرأ، وكانت الحركة من الفرس بسبب رؤيته للملائكة، فلما أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- بذلك، قال: «لَوْ بَقِيتَ تَقْرَأُ إِلَى الصَّبَاحِ لَرَأَتِ النَّاسُ الْمَلاَئِكَةَ»[٣٣٢]. لأنها نزلت تستمع القرآن الكريم.

---

(٣٣٠) النور: ٣٦.

(٣٣١) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك ابن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الأشهلي. يكنى: أبا يحيى. أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى. انظر: الاستيعاب: (ص: ٤٤ ترجمة ٦)، والإصابة (١/ ٨٣ ترجمة ١٨٥).

(٣٣٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن (٧٩٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

فالملائكة تحب الذكر، وتحب الأعمال الصالحة، وتشهد الصلوات مع الجماعة، «يَتَعَاقَبُ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ كِرَامٌ يَتَتَبَّعُونَ حِلَقَ الذِّكْرِ، وَيَجْلِسُونَ فِيهَا، وَيَسْتَمِعُونَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ»(٣٣٣). وأعظم حلق الذكر هي ما كان في القرآن الكريم؛ ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث الصحيح: «إِلاَّ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ». وحفت أي: أحدقت، كما قال الله -تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾(٣٣٤). حافين: محدقين، وحاضرين في ذلك الموقف العظيم، كما حضرت الملائكة أيضًا في غزوة بدر، كما أخبر الله عنهم في سورة الأنفال: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣٣٥).

الأجر الثاني، أو الثواب المترتب على هذا، وثمرة هذا الاجتماع: «غَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ». أي: رحمة الله -تعالى، أي: رحمهم الله -تعالى- وأحاطهم بهذه الرحمة، وكفر بذلك خطاياهم، ورفع باجتماعهم درجاتهم، وأوصلهم إلى جنته ورضوانه ومرضاته وكرمه -جل وعلا؛ لأنهم اجتمعوا على أمر يحبه الله -تعالى- ويرضاه، وهو القرآن الكريم.

الأجر الثالث: «وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». الذكر هنا: أي: الذكر في الملأ الأعلى، وهو ذكر ثناء وتشريف، وذكر مباهاة بهم عند ملائكته، كما يباهي الله -تعالى- بخلقه يوم عرفة ملائكتَه، حينما يرآهم وقوفًا في ذلك الصعيد، فالذكر هنا -ذكر الله تعالى لهم- أن يذكرهم في الملأ الأعلى، ويثني عليهم بثناء يستحقونه ويشرفهم بهذا الذكر، ويباهي بهم الملائكة، كما قال الله -تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٣٣٦)، وقراءة القرآن ذكر لله -تعالى، قال الله -تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ

((٣٣٣)) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٥٥٥، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦)، مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما(٦٣٢) من حديث أبي هريرة بمعناه.

(٣٣٤) الزمر: ٧٥.

(٣٣٥) الأنفال: ١٢.

(٣٣٦) البقرة: ١٥٢.

أَكْبَرُ﴾[٣٣٧]، فمَن ذكر الله -تعالى، فإن الله يذكره، وجاء في الحديث القدسي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ»[٣٣٨].

فإذا كان الله -تعالى- يباهي بملائكته قُرَّاء القرآن الكريم، فأي شرف، وأي فضل أعظم من هذا؟

وقد ثبت في الحديث أيضًا ما يوضح هذا المعنى، لما جاء النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى أُبي[٣٣٩] -كما في صحيح مسلم- وقال: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ». فقرأ عليه سورة البينة، قال: أوسماني الله لك؟ قال: «نَعَمْ»[٣٤٠]. فبكى أُبي فرحًا بهذا الخبر من الصادق المصدوق، أن الله -تعالى- قد سماه باسمه في الملأ الأعلى في الملائكة، فقال: «نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ». فقرأ عليه سورة البينة، فذكره الله -تعالى- في الملأ الأعلى، وأثنى عليه عند ملائكته المسبحة بقدسه، وهذا هو معنى قوله -عليه الصلاة والسلام: «وَذَكَرَهُمُ اللهُ -تَعَالَى- فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وفي الأثر الآخر الذي بعده: «نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ». زيادة على ما تقدم؛ حيث قال: «يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ». أي: نزل عليهم الوقار والخشية والطمأنينة، والسكينة هي طمأنينة القلب، وزوال الفزع عنه، حتى في وقت الخوف إذا نزلت السكينة على القلب زال عنه واطمأن، وقد ذكر الله -تعالى- عباده على لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام- بآيات تُسمَّى بآيات السكينة، أولها قوله -تعالى- في سورة البقرة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾[٣٤١].

---

(٣٣٧) العنكبوت: ٤٥.

(٣٣٨) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله -تعالى-: ويحذركم الله نفسه (٧٤٠٥)، مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٣٣٩) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدري، ويكنى أيضا أبا الطفيل. شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعرض على النبي -عليه السلام-، وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل -رضي الله عنه-. قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ليهنك العلم أبا المنذر». مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٢ ترجمة ٢)، وأسد الغابة (١/ ١٦٨ ترجمة ٣٤).

(٣٤٠) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب (٣٨٠٩، ٤٩٥٩، ٤٩٦١)، مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه (٧٩٩) من حديث أنس.

(٣٤١) البقرة: ٢٤٨.

قال العلماء: السكينة هنا بمعنى: الاطمئنان، ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾، هو الصندوق وما فيه، قالوا: إن الذي فيه هي ألواح موسى التي كتبها، أو جزء منها، فإذا رأوا هذا الصندوق حلت في قلوبهم السكينة، وهذا داخل في أولئك القوم من بني إسرائيل، الذين قالوا لنبيهم: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٣٤٢]، فطلب هذا النبي -عليه السلام- من الله -جل وعلا- أن يبعث لهم ملكًا يقودهم في هذه المعارك التي يخوضونها، ولكن لَمْ يستجب أكثرهم، وإنما استجاب القليل، كما قال الله -تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾[٣٤٣]، وفي آخر الآية قال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[٣٤٤]، فالمستجيبون للحق دائمًا هم القلة؛ ولهذا قال الله -تعالى- في سورة الشعراء بعد أن ذكر قصص الأنبياء، قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣٤٥]، كررها بعد كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٣٤٦]، يعني: لم يؤمن مع هؤلاء الأنبياء الذين تقدمت قصصهم إلا القليل، وأكثرهم لم يؤمن، ويدل على ذلك قوله -تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[٣٤٧]، ويدل عليه أيضًا قوله -تعالى: ﴿وَمَا أكثر النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣٤٨]، وقوله -تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٣٤٩].

فالإنسان لا يغتر بكثرة الباطل، ولا بكثرة أتباعه، ولا بكثرة الكفر، فهم كثير، وهذه سنة الله -تعالى- في خلقه، وأهل الحق هم القليل دائمًا في كل زمان ومكان، ولكن الحق له الغلبة، ولو كان قليلاً، كما في الآية: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[٣٥٠]، ويقول -تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾[٣٥١]، وأهل الحق قليل، وأهل الباطل كثير، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[٣٥٢].

---

(٣٤٢) البقرة: ٢٤٦.

(٣٤٣) البقرة: ٢٤٦.

(٣٤٤) البقرة: ٢٤٩.

(٣٤٥) الشعراء: ٨.

(٣٤٦) الشعراء: ٨ - ٩.

(٣٤٧) هود: ٤٠.

(٣٤٨) يوسف: ١٠٣.

(٣٤٩) سبأ: ١٣.

(٣٥٠) البقرة: ٢٤٩.

وفي سورة التوبة، جاءت الآيات في سياق إحدى المعارك، فقال الله -تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[٣٥٣]، وبعدها قال: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٣٥٤]، وفي سورة الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾[٣٥٥]. وفيها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٣٥٦]. وفي آخرها قال: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[٣٥٧].

الشاهد أن هذه الآيات سماها ابن تيمية[٣٥٨]: آيات السكينة، يقول -رحمه الله: ما قرأت هذه الآيات في أمر اشتد عليَّ من قلق أو فزع أو خوف إلا اطمأن قلبي، وذكر هذا أيضًا ابن القيم[٣٥٩] عنه، وهذا مضمن في الفتاوى، فإذا ما رأيت

---

(٣٥١) الأنبياء: ١٨.

(٣٥٢) الأنبياء: ١٨.

(٣٥٣) التوبة: ٢٦.

(٣٥٤) التوبة: ٤٠.

(٣٥٥) الفتح: ٤.

(٣٥٦) الفتح: ١٨.

(٣٥٧) الفتح: ٢٦.

(٣٥٨) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل الضلال، ونصر به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله من المؤلفات: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

(٣٥٩) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣ - دار هجر)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

أمرًا نزل بك من خوف أو اضطراب أو قلق، فاتلُ هذه الآيات، فإنها طريق السكينة والاطمئنان للعبد؛ ولهذا قال: «إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ». والسكينة هي الاطمئنان والوقار والخشوع، والطمأنينة -وهي السكينة- هي جند من جند الله، أنزلها الله -تعالى- على رسوله وعلى المؤمنين من عباده حتى يطمئنوا.

وهذه جاءت في معركة من المعارك، وآية سورة التوبة كذلك؛ لأن المعارك -كما هو معلوم- فيها الخوف والاضطراب والاعتداء، وهكذا، فإذا قرأت هذه الآيات في مثل تلك الأماكن وغيرها، حلت الطمأنينة محلها، فالسكينة التي ينزلها الله -تعالى- في قلوب العباد هي رحمة من الله -تعالى، وهي جند من جنوده، جعلها الله -تعالى- لأهل القرآن: «إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ».

ويقول ابن القيم -رحمه الله: وثمرة هذه السكينة: أن يطمئن القلب، وينشرح الصدر للخبر تصديقًا وإيقانًا، وللأمر تسليمًا وإذعانًا -تصديقًا للخبر وتسليمًا للأمر- فإذا صدق العبد المؤمن بما جاء من عند الله، وأيقن يقينًا صادقًا أنه من عند الله، ثم سلم لهذا الأمر الذي جاء وأذعن له، كما قال -تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٣٦٠].

وقال: لا تدع شبهة تعارض الخبر في القلب، ولا إرادة تعارض الأمر، فلا تمر معارضات السوء بالقلب -التي تمر بسائر الناس- فهناك معارضات سوء وشُبَه تمر بالناس.

ويقول: فلا تمر معارضات السوء بالقلب إلا وهي مجتازة -ولا تؤثر عليه- من مرور الوساوس الشيطانية التي يبتلى بها العبد دائمًا، ويعلو هذا الإنسان عند الله ميزانه بمدافعتها -أي: رد هذه الوساوس- وردها وعدم السكون إليها.

فإذا نزلت السكينة في قلب العبد المؤمن باتباعه هذا القرآن الكريم، لا يمكن أن يكون سبيلاً إلى الوساوس ولا إلى الشكوك، ولا إلى الأوهام، ولا إلى الفتن؛ لأن الله -تعالى- قد أنزل السكينة في قلبه، فالسكينة أمر عظيم، وهي تتنزل على أهل القرآن بهذا الحديث الصحيح.

---

(٣٦٠) النساء: ٦٥.

قال أيضًا: «وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». فأعمال الآخرة لا ينفع فيها إلا التقوى والعمل الصالح الذي قدمه، كما قال -تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣٦١]، فمَن اتصف بصفة التقوى، وعَمِل صالحًا -ومن الأعمال الصالحة قراءة القرآن الكريم- هذا هو الذي ينفع في الآخرة، فلا ينفع فيها الفخر بالأنساب ولا بالأحساب، ولا بكثرة الجاه ولا بالأموال.

ومَن كان عمله ناقصًا في هذه الدنيا، فعليه ألا يتكل على الأمور الأخرى؛ كقوة جاهه ومكانته وحسبه ونسبه، بل عليه أن يعمل ما يستطيع، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام، فإنه جمع ذات مرة أصحابه ومعهم عائشة، وقال: «اعْمَلُوا، اعْمَلُوا»[٣٦٢]. يحثهم على العمل، وهذا العمل سيظهر لك في الآخرة، ولا يفتخر الإنسان بحسبه ولا بنسبه، وإنما يفتخر بتقواه وعمله الصالح؛ ولهذا فهناك فخر في الآية السابقة، كما قال الله -تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣٦٣]. يفتخر بالعمل الصالح، يفتخر بأنه من المسلمين، وقائم على أمر الله في الإسلام، وأنه من أهل الدعوة إلى الله، ومن أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإن كان الافتخار بالنسب والحسب -وذكره أمر وارد- ولكنه لا يعلو على العمل الصالح؛ لأنه لا ينفع في الآخرة، كما قال الله -تعالى- في آخر سورة المؤمنون: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٣٦٤]. فلا شيء ينفع في الآخرة من الأحساب والأنساب، فبيَّن الله -تعالى- أنه في ذلك اليوم العظيم لا يستطيع أحد أن يبحث عن نسبه، ولا عن حسبه، ولا من أي قبيلة، إنما يبحث عن عمل صالح يقدمه إلى الله -تعالى؛ لأن كل مشغول بنفسه، مهتم بعمله لا ينظر حوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ

---

(٣٦١) الحجرات: ١٣.

(٣٦٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٠٦) بنحوه، من حديث أبي أمامة، وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وعائشة.

(٣٦٣) فصلت: ٣٣.

(٣٦٤) المؤمنون: ١٠١.

امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[٣٦٥].. إلى آخر الآيات، فكل يفر من أقرب الناس إليه؛ ولهذا قال: ﴿فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾[٣٦٦]. أي: في ذلك الوقت.

«وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». فمَن أبطأ به عمله، أي: قصر في العمل، وادعى أنه يفتخر بالنسب، فهذا النسب لا ينفعه في ذلك، «لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». أي: لم يقدمه.

والأثر الأخير، وهو عن هارون بن عنترةوهارون بن عنترة قال عنه ابن حجر[٣٦٧]: لا بأس به.

وعنترة هو أبوه، قال: أبوه عنترة بن عبد الرحمن الكوفي، وثقه ابن حجر، وهو داخل في الأحاديث السابقة، إلا أن فيه إضافة أخرى، قال: أي العمل أفضل؟ قال: «ذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ». يعني: أكبر من كل شيء، وذكر الله عام، كما قال الله – تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[٣٦٨].

وذكر الله –تعالى– هو صفة من صفات أهل الإيمان؛ لأن أهل الإيمان هم الذين يكثرون من ذكر الله، قال الله – تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٣٦٩]، وقال –تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[٣٧٠].

---

(٣٦٥) عبس: ٣٤ – ٣٧.

(٣٦٦) المؤمنون: ١٠١.

(٣٦٧) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر، شهاب الدين أبو الفضل الكناني العسقلاني الشافعي. قاضي القضاة، حافظ زمانه. نشأ يتيما، وأكمل حفظ القرآن في التاسعة من عمر، وصلى التراويح بالناس في الحرم المكي وله اثنا عشر عاما. رحل حبا في العلم وتطلبا للشيوخ. من أبرز شيوخه: ابن الملقن، والسراج البلقيني، وأبو الحسن الهيثمي. من أبرز تلاميذه: السخاوي، ابن قاضي شهبة، ابن تغري بردي. له مؤلفات حسان؛ أهمها: "فتح الباري"، و"لسان الميزان"، و"الدرر الكامنة". ولد سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة، وتوفي سنة ثنتين وخمسين وثمان مئة. انظر: الضوء اللامع (٢/ ٣٦ ترجمة ١٠٤)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٣ ترجمة ١٠٢)، وله ترجمة موعبة في الجواهر والدرر لتلميذه السخاوي.

(٣٦٨) العنكبوت: ٤٥.

(٣٦٩) الأحزاب: ٤١ – ٤٢.

(٣٧٠) الشعراء: ٢٢٧.

وهنا فائدة، وهي: الذكر دائمًا يكون مقرونًا بوصف الكثرة في القرآن الكريم، قال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَّ كَثِيرًا﴾. وفي آية أخرى قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا﴾[٣٧١]. لأن كثرة الذكر دليل على الإيمان، وقلة الذكر دليل على النفاق، كما قال -تعالى: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَّ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٣٧٢]. فأهل النفاق لا يذكرون الله إلا قليلاً، وأهل الإيمان يكثرون من ذكر الله -سبحانه.

وقال في آخره: «وَكَانُوا أَضْيَافَ الله -تَعَالَى»[٣٧٣]. لأن ما تقدم في هذا الحديث داخل فيما سبق، «وَكَانُوا أَضْيَافَ الله -تَعَالَى- مَا دَامُوا فِيهِ، حَتَّى يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» [٣٧٤]. يعني: هذا أيضًا تحذيرٌ من أن يخرجوا من هذا القرآن، وهم مجتمعون في الحلقة، ويقرؤون القرآن أن يتحدثوا في أمور الدنيا، أو في شيء محرم، ولماذا هذا الوصف العظيم، وهذه الثمرات الكبيرة لأهل القرآن في مجلسهم؟ لأن مجلسهم مجلس خير وبركة، لا هو مجلس لغو ولا فسق، ولا غيبة ولا نميمة، ولا مجلس دنيا، بل كله مجلس خير، ومجلس طاعة وعمل صالح؛ ولهذا جاءت لهم هذه الثمرات العظيمة التي وردت في هذه الأحاديث المتقدمة؛ لأنها مجالس خير.

فلا يسوغ لأهل القرآن أن يتحدثوا في جلستهم، وهم يقرؤون القرآن في أمور الدنيا؛ لأنه لا يليق بهم، ولا يجوز لهم أن يتكلموا في أعراض الناس، أو في الغيبة والنميمة، وفي شيء محرم، فلا يجوز ولا يسوغ أن يحرموا أنفسهم هذا الخير العظيم.

يقول السائل: قال بعض أهل العلم: إن كتاب: (أخلاق حملة القرآن)، يغلب على أحاديثه الضعف، فهل ذلك صحيح؟

ما يتعلق بفضائل القرآن الكريم، فيه أحاديث ضعيفة كثيرة، وطالب العلم يتحرى الصحة والدقة؛ ولهذا كتاب الآجري هذا فيه أحاديث ضعيفة كثيرة، لكنه جاء بها بالإسناد، فمَن أسند إليك فقد حملك، فتذهب وأنت تبحث عن

---

(٣٧١) الأحزاب: ٢١.

(٣٧٢) النساء: ١٤٢.

(٣٧٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٩٣٩، ٣٥٩٢٢)، البيهقي في الشعب (٦٧١، ٢٠٣٠) من حديث ابن عباس به.

(٣٧٤) سبق تخريجه.

الإسناد، ولا بد من التدقيق والبحث والتحرير عن صحة هذه الأسانيد ومعرفتها، وكذلك فضائل سور القرآن الكريم، فبعض فضائل سور القرآن الكريم فيها ضعف، بل فيها موضوع، فمنهم من يضع حتى يرغب الناس في أشياء لم يرد فيها دليل.

يقول السائل: بما تنصحون مَن قرأ تفسير الإمام ابن سعدي، ثم أراد أن ينتقل إلى تفسير غيره، هل تنصحونه بتفسير الشيخ فيصل بن مبارك، المسمى: (توفيق الرحمن في دروس القرآن)؟

كتاب توفيق الرحمن، هو خلاصة لتفسير ابن كثير[٣٧٥]، وكأنه اختصار لتفسير ابن كثير، فانتقل من هذا التفسير – تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي[٣٧٦]– إلى تفسير ابن كثير ففيه علم عظيم، وفيه تفسير للقرآن بالقرآن، وفيه وفيه حكم وفوائد، ترقى شيئًا فشيئًا.

يقول: ما أفضل طريقة عملية لدراسة كتب التفسير.

كما تقدم، فالإنسان يبدأ بالشيء الأقل فالأقل، حتى لا تشكل عليه معرفة الآيات، فيبدأ بالمعاني الإجمالية كما في تفسير الشيخ السعدي، ثم إذا أشكل عليه شيء في فهم التفسير في نفس الآية التي يقرأ فيها، يذهب إلى التفاسير الأخرى: كتفسير ابن كثير، وتفسير ابن جرير[٣٧٧]، وتفسير البغوي[٣٧٨]، وتفسير أضواء البيان للشنقيطي، أو غيرها من

---

(٣٧٥) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي البصري، ثم الدمشقي الشافعي، أبو الفداء عماد الدين، الحافظ المؤرخ الفقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، سنة إحدى وسبع مئة، وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وسبع مئة. له العديد من التصانيف؛ منها البداية والنهاية، والتفسير، وغيرها من المصنفات. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ (١/ ٣٨)، طبقات المفسرين (١/ ٢٦٠ ترجمة ٣١٣).

(٣٧٦) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، ولد في القصيم في الثاني عشر من محرم عام سبعة وثلاث مئة وألف. نشأ يتيما، وقرأ القرآن وأتقنه وعمره أحد عشر عاما، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده، فجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم. من تلاميذه الشيخ محمد بن صالح العثيمين. له مؤلفات حسان؛ منها: "تيسير الكريم الرحمن"، و"القواعد الحسان لتفسير القرآن". توفي سنة ست وسبعين وثلاث مئة وألف. انظر: الشيخ عبدالرحمن السعدي حياته وعلمه، رسالة ماجستير لعبد العزيز العمار.

(٣٧٧) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المحتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله. كان ثقة، صادقا، حافظا، رأسا في التفسير، إماما في الفقه والاجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك. وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات، من

التفاسير الأخرى التي يستطيع أن يدخل فيها: كتفسير ابن عطية[٣٧٩]: المحرر الوجيز، أو أحكام القرآن للقرطبي[٣٨٠]، أو البحر المحيط لأبي حيان[٣٨١].

جاهل، وحاسد، وملحد، فأما أهل الدين والعلم؛ فغير منكرين علمه، وزهده في الدنيا، ورفضه لها، وقناعته. له مؤلفات جياد؛ منها: "جامع البيان"، و"تهذيب الآثار". مات سنة عشر وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧ ترجمة ١٧٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٩١ ترجمة ٥٧٠).

(٣٧٨) الشيخ الإمام، العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر. يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان سيدا إماما، عالما علامة، زاهدا قانعا باليسير. كان يأكل الخبز وحده، فعذل في ذلك فصار يأتدم بزيت، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها. بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام؛ لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها، وكان لا يلفي الدرس إلا على طهارة، وكان مقتصدا في لباسه، له ثوب خام، وعمامة صغيرة على منهاج السلف حالا وعقدا، وله القدم الراسخ في التفسير، والباع المديد في الفقه. من تواليفه الحسان: "شرح السنة"، و"معالم التنـزيل". توفي سنة ست عشرة وخمس مئة وألف. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩ ترجمة ٢٥٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٧/ ٧٥ ترجمة ٧٦٧).

(٣٧٩) الشيخ الإمام المفسر القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي. ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مئة. فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث، والنحو واللغة والأدب. حسن التقييد. له نظم ونثر. ولي القضاء وكان غاية في الذكاء والدهاء. له مصنفات حسان؛ أشهرها: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". توفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مئة. انظر: الديباج المذهب (٢/ ٥٧ ترجمة ٨)، ونفح الطيب (٢/ ٥٢٦).

(٣٨٠) الإمام المفسر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، الأندلسي، المالكي. كان إماما متفننا متبحرا في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبانُ. وكان مع ذلك من عباد الله الصالحين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة. له تواليف ممتعة؛ منها: "الجامع لأحكام القرآن"، و"التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة". توفي بمصر سنة إحدى وسبعين وست مئة، ودفن بها. انظر: الديباج المذهب (٢/ ٣٠٨ ترجمة ١١٤)، ونفح الطيب (٢/ ٢١٠ ترجمة ١٢٢) ت: إحسان عباس.

(٣٨١) محمد بن يوسف بن علي بن حيان، العلامة الأوحد، أثير الدين، أبو حيان الأندلسي الجياني الغرناطي المقرئ النحوي. ولد سنة أربع وخمسين وست مئة. وهو نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه. تقدم في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وطلب الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز. وأكب عليه وأتقنه وبرع فيه، وفي التفسير، والعربية، والقراءات، والأدب، والتاريخ. واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره؛ كتقي الدين السبكي. وكان ثبتا قيما عارفا باللغة، وأما النحو والتصريف؛ فهو الإمام المطلق فيهما. خدم هذا الفن أكثر عمره، حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما غيره. له من التصانيف: "البحر المحيط"،

قال المؤلف -رحمه الله: (بَابُ ذِكْرِ أَخْلاَقِ أَهْلِ الْقُرْآنِ).

قال محمد بن حسين[٣٨٢]: (يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمُوا كِتَابَهُ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، وَأَهْلِ اللهِ وَخَاصَّتِهِ، وَمِمَّنْ وَعَدَهُ اللهُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَقَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾[٣٨٣]. قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ، وَمِمَّا قَالَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[٣٨٤].

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ[٣٨٥]: سَمِعْتُ عِيسَى بْنَ يُونُسَ[٣٨٦] يَقُولُ: إِذَا خَتَمَ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ قَبَّلَ الْمَلَكُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ[٣٨٧]. فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ، يُعَمِّرُ بِهِ مَا خَرِبَ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَتَأَدَّبُ بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَيَتَخَلَّقُ بِأَخْلاَقِهِ الشَّرِيفَةِ، يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ).

و"ارتشاف الضرَب". توفي سنة خمس وأربعين وسبع مئة. انظر: معرفة القراء الكبار (٢/ ٧٢٣ ترجمة ٦٨٩)، وبغية الوعاة (١/ ٢٦٦ ترجمة ٥١٦).

(٣٨٢) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: "الشريعة"، و"الأربعين". توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧).

(٣٨٣) البقرة: ١٢١.

(٣٨٤) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب عبس وتولى كلح وأعرض (٤٩٣٧)، مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتعتع فيه (٧٩٨) من حديث عائشة.

(٣٨٥) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم. ولد سنة اثنتين وخمسين ومئة. ارتحل في العلم، فأخذ عن: مالك، وشريك، وحماد بن زيد، وعدة. حدث عنه: أحمد الدورقي، ومحمد بن يوسف الجوهري، ومحمد بن مثنى السمسار، وخلق سواهم. قال ابن حجر في التقريب: ثقة قدوة. مات سنة سبع وعشرين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٩٩ ترجمة ٦٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩ ترجمة ١٥٣).

(٣٨٦) الإمام القدوة، الحافظ، الحجة عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله، أبو عمرو، وأبو محمد الهمداني، السبيعي الكوفي، المرابط بثغر الحدث، كان سنة في الغزو وسنة في الحج. وكان واسع العلم، كثير الرحلة، وافر الجلالة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة مأمون. مات سنة سبع وثمانين. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٦٢ ترجمة ٤٦٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨٩ ترجمة ١٣٠).

في هذا الباب يذكر المؤلف أخلاق أهل القرآن، وأن الله -جل وعلا- قد فضلهم على غيرهم من سائر الناس، حيث مَنَّ الله عليهم بتلاوة القرآن، وحفظه ومدارسته، فإذا كانوا كذلك، فإنه ينبغي عليهم أن يتخلقوا بما في هذا القرآن من الأخلاق، والقرآن هو منهج الأخلاق الفاضلة، ومنهج الأخلاق الكاملة، فما من خلق حسن إلا دَلَّ عليه، وما من خلق سيئ إلا حذر منه، وكل هذا جاء في القرآن الكريم.

وتكفي هذه الآية التي جاء الفضل فيها، في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[٣٨٨]. والتفسير هذا يروى عن مجاهد[٣٨٩]، قال: يعملون به حق عمله، كما تقدم، ثم استشهد المؤلف بالحديث المخرج في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ». وفي رواية: «وَهُوَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ»[٣٩٠]. أَيْ: يشق عليه تلاوته، فقوله: «وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ». الماهر هو القارئ الحاذق الحافظ، المتقن، الضابط لتلاوة آيات القرآن الكريم، ولا تشق عليه القراءة في أية سورة، أو في أية آية.

---

(٣٨٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٠٧٤) من طريق بشر بن الحارث عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة به، قال البيهقي: قال بشر بن موسى قال لي عمر بن عبد العزيز فحدثت به أحمد بن حنبل فقال لعل هذا من هنات سفيان واستحسنه أحمد بن حنبل جدا

(٣٨٨) البقرة: ١٢١.

(٣٨٩) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين. روى عن: ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. كان يقول: يقول: "عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟". وكان من أعلم التابعين بالتفسير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة إمام في التفسير. توفي سنة ثلاث ومئة وقد نيف على الثمانين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨ ترجمة ٥٧٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩ ترجمة ١٧٥).

(٣٩٠) سبق تخريجه.

فيعرف الأحكام المتعلقة بألفاظ الكلمات من الحسن والجودة والضبط والإتقان؛ ولهذا يقولون -إذا كان القارئ جيدًا: القارئ متقن، أو محرر. كما ذكر ابن الجزري[٣٩١] في كتابه: (غاية النهاية)، حيث ترجم فيه لنحو من خمسة آلاف عَلَم من أعلام القرآن، على مر العصور إلى عهده، وقد تُوفِّي سنة اثنين وثلاثين وثمانمئة من الهجرة.

وكذلك الذهبي[٣٩٢] أيضًا أَلَّف في طبقات القراء، وذكر فيها جملة وعددًا كبيرًا من القراء، يصفون القارئ الحاذق، هو الضابط المتقن المحرر، والذي يقيم الحروف إقامة عربية صحيحة، ويخرج كل حرف من مخرجه، فهذا هو معنى الماهر، سواء أكان ذلك في الوقف أم الابتداء، أو ما يتعلق بأنواع القراءة من الأحكام التجويدية.

فالماهر بالتلاوة المتقن الحافظ الضابط لها، جاء في الحديث الثوابُ الذي يناله، والمنزلة التي يختص بها، والرفعة التي ينالها، وهي أنه يكون مع الكرام السفرة، في رواية: «الْبَرَرَةِ».

والكرام السفرة هم الملائكة، والسفرة: هم الرسل الذين يأتون من عند الله -تعالى- إلى الأنبياء بالرسالات، فالملائكة -عليهم السلام- هم رسل الله إلى أنبيائه؛ ولأنهم يسافرون بين الله وبين الأنبياء، ويحملهم الله -تعالى- الأمانة، ويوحي بها إلى النبي.

وقيل: إنهم سموا: سفرة؛ لأنهم يسافرون إلى الناس برسالات الله، ولأنهم يتنزلون بالوحي من عند الله، فهم سفراء الله إلى الأنبياء؛ ليبلغوا عن الله رسالاته.

والمعية التي في هذا الحديث: «مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةِ». يقول أهل العلم: إنها تحتمل أن يكون لقارئ القرآن منازل يكون فيها رفيقًا مع الملائكة، الذين هم السفرة، لاتصافه بصفاتهم؛ لأنهم هم الذين حملوا كتاب الله، وحملوا هذا

---

(٣٩١) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري: شيخ الاقراء في زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن) ورحل إلى مصر مرارا، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها. ومات فيها سنة ٨٣٣ هـ.

(٣٩٢) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي. الإمام، المحدث، مؤرخ الإسلام، صاحب العبارة الرشيقة، والجملة الأنيقة. من شيوخه: ابن دقيق العيد، وابن تيمية. مولده في سنة ثلاث وسبعين وست مئة، ووفاته سنة ثمان وأربعين وسبع مئة. له من مؤلفات حسان جياد؛ منها: "سير أعلام النبلاء"، و"معرفة القراء الكبار". انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٠٠ ترجمة ١٣٠٦)، وانظر مقدمة الدكتور/ بشار للجزء الأول من كتابه السير.

القرآن وبلغوه، فحمله جبريل، وبلغه إلى النبي -عليه الصلاة والسلام، فقارئ القرآن يحمل هذا القرآن في جوفه، ويحفظه، ففيه شبه بهؤلاء السفرة وهم الملائكة، فهو يعمل بعملهم، ويسلك مسلكهم، ويتصف بصفاتهم، ومَن اتصف بصفات قوم فهو معهم.

والمرء يحشر مع مَن أحب؛ ولهذا وصف الحديثُ القراءَ المهرةَ الحافظون المتقنون، أنهم مع السفرة الكرام البررة، وسموا برزة -كما في بعض الروايات- لأنهم على طاعة؛ لأن البر هو الطاعة لله -تعالى.

وقد بَيَّن الحديث فضلَ الماهر بالتلاوة، وما له من الأجر، وما للقارئ الذي تصعب عليه القراءة ويتعتع فيها، وما له من الأجر أيضًا، فقال: «لَهُ أَجْرَانِ». أما الأول: فلم يذكر شيئًا، إنما قال: «مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ». وليس معنى هذا أن الذي يقرأ القرآن وهو شاق عليه، أكثر أجرًا من الماهر بالتلاوة، فإن الماهر بالتلاوة له أجور متعددة وكثيرة، فبلغت هذه الأجور أنه هو والملائكة في معية واحدة، الذين ذكرهم الله -تعالى- في سورة عبس: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[٣٩٣]. وهم الملائكة؛ لأن الحافظ المتقن الضابط الماهر، لا يمكن أن يكون أقل ثوابًا ممن هو أدنى منه وأقل، ولا يمكن أن يكون مَن هو أدنى منه أكثر منه ثوابًا، بل هو أكثر.

فلا يفهم من هذا أن الذي يقرأ القرآن بإتقان وضبط فله أجر، والمتتعتع له أجران، بل الماهر فاق الأجرين، وزاد على ذلك، فهي أجور كثيرة متعددة، وهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده.

ثم ساق أثرًا عن عيسى بن يونس، قال: (وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ). وبشر بن الحارث ثقة، تُوفِّي سنة سبع وعشرين ومئتين، وهو عابد زاهد، وعالم جمع بين الإخلاص والورع والتقوى، يقول: (سمعتُ عيسى بنَ يونسَ). وعيسى بن يونس هو ابن أبي إسحاق السبيعي، المتوفى سنة سبع وثمانين ومئة، وهو ثقة حجة حافظ، وهو حفيد

(٣٩٣) عبس: ١٣ - ١٦.

الإمام أبو إسحاق السبيعي[٣٩٤]، المحدث المشهور، الذي اسمه: عمرو بن عبد الله بن أبو إسحاق السبيعي، وقد تُوفِّي سنة تسع وعشرين ومئة، وهذا حفيده، فهم بيت علم وأهل حديث.

وأبو إسحاق السبيعي قيل: إنه اختلط آخر حياته، ولكن الصواب هو ما حققه بعض طلبة أهل العلم، وهو أنه لم يختلط في آخر حياته.

يقول: (إذَا ختمَ العبدُ القرآنَ، قبَّلَ الملكُ بينَ عينيه). وهذا أيضًا من الفضل العظيم الذي يناله قارئ القرآن، وهذا الأثر موقوف على عيسى بن يونس السبيعي، فإذا كانت هذه الكرامة تنال قارئ القرآن، فالذي ينبغي عليه أن يعمر حياته بهذا القرآن، وأن يخلص لله -تعالى- في تلاوته، وأن يتقرب به إلى الله، وأن يكون متميزًا في حياته عن سائر الناس.

فإذا علم أنه سيكون مع الملائكة، ومع السفرة الكرام البررة، وسينال هذا الفضل العظيم، فينبغي أن يكون له تميز في حياته، وخصوصية في حياته، ليس كسائر الناس، كما سيأتي بيانه من أبي بكر محمد بن الحسين، مما ينبغي على قارئ القرآن.

(فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ: أَنْ يَسْتَعْمِلَ تَقْوَى الله -عَزَّ وَجَلَّ- فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ، بِاسْتِعْمَالِ الْـوَرَعِ فِي مَطْعَمِـهِ وَمَشْرَبِـهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَكْسَبِهِ، وَيَكُونُ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، وَفَسَادِ أَهْلِهِ، فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ عَلَى دِينِهِ، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ، مَهْمُومًا بِإِصْلاَحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ، مُمَيِّزًا لِكَلاَمِهِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ إِذَا رَأَى الْكَلاَمَ صَوَابًا، وَإِذَا سَكَتَ سَكَتَ بِعِلْـمٍ إِذَا كَـانَ السُّكُوتُ صَوَابًا، قَلِيلَ الْخَوْضِ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ، يَخَافُ مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ، يَحْبِسُ لِسَانَهُ كَحَبْسِـهِ لِعَـدُوِّهِ؛ لِيَأْمَنَ مِنْ شَرِّهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ فِيمَا يَضْحَكُ مِنْهُ النَّاسُ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الضَّحِكِ، إِنْ سُرَّ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوَافِـقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ، يَكْرَهُ الْمِزَاحَ خَوْفًا مِنَ اللَّعِبِ، فَإِنْ مَزَحَ قَالَ حَقًّا، بَاسِطَ الْوَجْهِ، طَيِّبَ الْكَـلاَمِ، لاَ يَمْـدَحُ نَفْسَـهُ بِـمَا فِيـهِ، فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؟! يَحْذَرُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَغْلِبَهُ عَلَى مَا تَهْوَى مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلاَهُ، لاَ يَغْتَـابُ أَحَـدًا، وَلاَ يُحَقِّـرُ أَحَـدًا، وَلاَ

(٣٩٤) عمرو بن عبد الله بن عبيد أو على أو ابن أبى شعيرة، الهمدانى، أبو إسحاق السبيعى الكوفى، الحافظ شيخ الكوفة وعالمها ومحدثها. توفي سنة تسع وعشرين ومئة. وقيل قبل ذلك، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة مكثر عابد، اختلط بأخرة. انظر: التهذيب (٢٢/ ١٠٢ ترجمة ٤٤٠٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٢ ترجمة ١٨٠).

يَسُبُّ أَحَدًا، وَلاَ يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ، وَلاَ يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يُفْسِدُهُ، وَلاَ يُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ إِلاَّ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ، يَحْسُدُ بِعِلْمٍ، وَيَظُنُّ بِعِلْمٍ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ بِمَا فِي الإِنْسَانِ مِنْ عَيْبٍ بِعِلْمٍ، وَيَسْكُتُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فِيهِ بِعِلْمٍ.

قَدْ جَعَلَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، حَافِظًا لِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، إِنْ مَشَى مَشَى بِعِلْمٍ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ بِعِلْمٍ، يَجْتَهِدُ لِيَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَلاَ يَجْهَلُ، فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلِمَ، وَلاَ يَظْلِمُ، فَإِنْ ظُلِمَ عَفَا، وَلاَ يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ، وَإِذَا بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ لِيُرْضِيَ رَبَّهُ، وَيَغِيظُ عَدُوَّهُ، مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبِلَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، يَطْلُبُ الرِّفْعَةَ مِنَ اللهِ لاَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، مَاقِتًا لِلْكِبْرِ، خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ.

لاَ يَتَأَكَّلُ بِالْقُرْآنِ، وَلاَ يُحِبُّ أَنْ تُقْضَى لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ، وَلاَ يَسْعَى بِهِ إِلَى أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَلاَ يُجَالِسُ بِهِ الأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ، إِنْ كَسَبَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ بِلاَ فِقْهٍ وَلاَ بَصِيرَةٍ، كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهٍ وَعِلْمٍ، إِنْ لَبِسَ النَّاسُ اللِّينَ الْفَاخِرَ، لَبِسَ هُوَ مِنَ الْحَلاَلِ مَا يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ، إِنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ، وَإِنْ أُمْسِكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، وَيَحْذَرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُطْغِيهِ.

يَتَّبِعُ وَاجِبَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمٍ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمٍ، وَيَنَامُ بِعِلْمٍ، وَيُجَامِعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ، وَيَصْحَبُ الإِخْوَانَ بِعِلْمٍ، يَزُورُهُمْ بِعِلْمٍ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، يُجَاوِرُ جَارَهُ بِعِلْمٍ، وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِرَّ وَالِدَيْهِ، فَيَخْفِضُ لَهُمَا جَنَاحَهُ، وَيَخْفِضُ لِصَوْتِهِمَا صَوْتَهُ، وَيَبْذِلُ لَهُمَا مَالَهُ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا بِعَيْنِ الْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ، يَدْعُو لَهُمْ بِالْبَقَاءِ، وَيَشْكُرُ لَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، وَلاَ يَضْجَرُ بِهِمَا، وَلاَ يُحَقِّرُهُمَا، إِنْ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَى طَاعَةٍ أَعَانَهُمَا، وَإِنْ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَى مَعْصِيَةٍ لَمْ يُعِنْهُمَا عَلَيْهَا، وَرَفَقَ بِهِمَا فِي مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُمَا.

يُحْسِنُ الأَدَبَ لِيَرْجِعَ عَنْ قَبِيحِ مَا أَرَادَ مِمَّا لاَ يَحْسُنُ بِهِ فِعْلُهُ، يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ، مَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ، وَمَنْ عَصَى اللهَ فِيهِ أَطَاعَ اللهَ فِيهِ، يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ، مَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ، وَحَسَنُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنْ جَالَسَ، إِنْ عَلِمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ، لاَ يُعَنِّفُ مَنْ أَخْطَأَ وَلاَ يُخْجِلُهُ، رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ، صَبُورٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْخَيْرِ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ، وَيَفْرَحُ بِهِ الْمُجَالِسُ، مُجَالَسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرًا، مُؤَدَّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ لَهُ مُؤَدِّبَانِ، يَحْزَنُ بِعِلْمٍ، وَيَبْكِي بِعِلْمٍ، وَيَصْبِرُ بِعِلْمٍ، وَيَتَطَهَّرُ بِعِلْمٍ، وَيُصَلِّي بِعِلْمٍ، وَيُزَكِّي بِعِلْمٍ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ، وَيَحُجُّ بِعِلْمٍ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ، وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ، وَيَتَبَسَّطُ فِي الأُمُورِ بِعِلْمٍ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِعِلْمٍ.

قَدْ أَدَّبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تُؤَدِّيَ مَا فَرَضَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهِ بِجَهْلٍ، قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، هِمَّتُهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا أَلْزَمَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَ- مِنِ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى، لَيْسَ هِمَّتُهُ: مَتَى أَخْتِمُ السُّورَةَ؟ هِمَّتُهُ: مَتَى أَسْتَغْنِي بِاللهِ عَنْ غَيْرِهِ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَاشِعِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَائِفِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الرَّاجِينَ؟ مَتَى أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا؟ مَتَى أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ؟ مَتَى أَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ؟ مَتَى أَعْرِفُ قَدْرَ النِّعَمِ الْمُتَوَاتِرَةِ؟ مَتَى أَشْكُرُ عَلَيْهَا؟ مَتَى أَعْقِلُ عَنِ اللهِ - جَلَّتْ عَظَمَتُهُ- الْخِطَابَ؟ مَتَى أَفْقَهُ مَا أَتْلُو؟ مَتَى أَغْلِبُ نَفْسِي عَلَى هَوَاهَا؟ مَتَى أُجَاهِدُ فِي اللهِ حَقَّ الْجِهَادِ؟ مَتَى أَحْفَظُ لِسَانِي؟ مَتَى أَغُضُّ طَرْفِي؟ مَتَى أَحْفَظُ فَرْجِي؟ مَتَى أَسْتَحِي مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- حَقَّ الْحَيَاءِ؟ مَتَى أَشْتَغِلُ بِعَيْبِي؟ مَتَى أُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِي؟ مَتَى أُحَاسِبُ نَفْسِي؟ مَتَى أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي؟ مَتَى أَكُونُ عَنِ اللهِ رَاضِيًا؟ مَتَى أَكُونُ بِاللهِ وَاثِقًا؟ مَتَى أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَّعِظًا؟ مَتَى أَكُونُ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مُشْتَغِلاً؟ مَتَى أُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ؟ مَتَى أُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَ؟ مَتَى أَنْصَحُ للهِ؟ مَتَى أُخْلِصُ لَهُ عَمَلِي؟ مَتَى أُقَصِّرُ أَمَلِي؟ مَتَى أَتَأَهَّبُ لِيَوْمِ مَوْتِي، وَقَدْ غُيِّبَ عَنِّي أَجَلِي؟ مَتَى أُعَمِّرُ قَبْرِي؟ مَتَى أُفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ؟ مَتَى أُفَكِّرُ فِي خَلْوَتِي مَعَ رَبِّي؟ مَتَى أُفَكِّرُ فِي الْمُنْقَلَبِ؟ مَتَى أَحْذَرُ مَا حَذَّرَنِي مِنْهُ رَبِّي؛ مِنْ نَارٍ حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَغَمُّهَا طَوِيلٌ؟ لاَ يَمُوتُ أَهْلُهَا فَيَسْتَرِيحُوا، وَلاَ تُقَالُ عَثْرَتُهُمْ، لاَ تُرْحَمُ عَبْرَتُهُمْ، طَعَامُهُمُ الزَّقُّومُ، وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ (﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بُدِّلُوا جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[٣٩٥] نَدِمُوا حَيْثُ لا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ، وَعَضُّوا عَلَى الأَيْدِي أَسَفًا عَلَى تَقْصِيرِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَرُكُوبِهِمْ مَعَاصِي اللهِ - تَعَالَى، فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٣٩٦]، وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٣٩٧]، وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾[٣٩٨] وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿يَا

(٣٩٥) النساء: ٥٦.

(٣٩٦) الفجر: ٢٤.

(٣٩٧) المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

(٣٩٨) الكهف: ٤٩.

وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً﴾[٣٩٩] وَقَالَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ وَوُجُوهُهُمْ تَتَقَلَّبُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فَقَالُوا: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَّ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ﴾[٤٠٠]، فَهَذِهِ النَّارُ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ حَذَّرَهَا اللهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ رَحْمَةً مِنْهُ لِلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤٠١]، وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٤٠٢]، وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤٠٣]، ثُمَّ حَذَّرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفُلُوا عَمَّا فَرَضَ عَلَيْهِمْ وَمَا عَهِدَهُ إِلَيْهِمِ أَلاَّ يُضَيِّعُوهُ وَأَنْ يَحْفَظُوا مَا اسْتَرْعَاهُمْ مِنْ حُدُودِهِ وَلاَ يَكُونُوا كَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ فَسَقَ عَنْ أَمْرِهِ فَعَذَّبَهُ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَّ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤٠٤].

ثُمَّ أَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٤٠٥]، فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ إِذَا تَلاَ الْقُرْآنَ اسْتَعْرَضَ الْقُرْآنَ فَكَانَ كَالْمِرْآةِ؛ يَرَى بِهِ مَا حَسُنَ مِنْ فِعْلِهِ وَمَا قَبُحَ مِنْهُ، فَمَا حَذَّرَهُ مَوْلاَهُ حَذِرَهُ، وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ، وَمَا رَغَّبَهُ فِيهِ مَوْلاَهُ رَغِبَ فِيهِ وَرَجَاهُ، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ -أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ- فَقَدْ تَلاَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَاهِدًا وَشَفِيعًا وَأَنِيسًا وَحِرْزًا، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ نَفَعَ نَفْسَهُ وَنَفَعَ أَهْلَهُ وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ كُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ).

---

(٣٩٩) الفرقان: ٢٨.

(٤٠٠) الأحزاب: ٦٦.

(٤٠١) التحريم: ٦.

(٤٠٢) آل عمران: ١٣١.

(٤٠٣) الحشر: ١٨.

(٤٠٤) الحشر: ١٩.

(٤٠٥) الحشر: ٢٠.

هذه وصايا عظيمة من محمد بن حسين[٤٠٦] -رحمه الله- لقارئ القرآن، وهي عدد من الوصايا المتنوعة التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم، وأولى من ينبغي أن يتحلى بها قارئ القرآن الذي عرف أمر الله -تعالى- وعرف نهيه وحلاله وحرامه، فمن أول الوصايا التي أوصى بها وذكَّر بها هي التقوى؛ تقوى الله -تعالى، وهذه التقوى هي وصية الله -تعالى- للأولين والآخرين، كما قال -سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[٤٠٧]، فالتقوى تجمع كل خير للعبد، وطريق هذه التقوى هو السير على الصراط المستقيم الذي بينه الله -تعالى- للعباد، كما قال -سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤٠٨].

فالتقوى غاية كل مؤمن، فلا يكون حصول التقوى إلا بلزوم الصراط المستقيم واتباعه كما أخبر الله -تعالى- في هذه الآية، والمتقون هم الذين وعدهم الله -تعالى- بالجنة ومآلهم إلى الجنة، وتقرأون في القرآن كثيرًا: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٤٠٩]، و﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٤١٠]، فدائمًا يقرن دخول الجنة بمن اتصف بالتقوى، وبهذا خاطب الله -تعالى- صفوةَ خلقه وأنبيائه، فخاطب بها خاتم النبيين وإمام المرسلين في قوله -سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَقِ اللَّهَ﴾[٤١١]، أي: اثبت على هذه التقوى التي أنت عليها، وهذا من باب التذكير له بذلك، وخاطب الله -تعالى- بها المؤمنين ليثبتوا أيضًا عليها، فقال -سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٤١٢].

---

(٤٠٦) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: "الشريعة"، و"الأربعين". توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢) ، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧) .

(٤٠٧) النساء: ١٣١.

(٤٠٨) الأنعام: ١٥٣.

(٤٠٩) النبأ: ٣١.

(٤١٠) القلم: ٣٤.

(٤١١) الأحزاب: ١.

(٤١٢) آل عمران: ١٠٢.

كما خاطب الله -سبحانه- بها العصاة؛ حتى يتركوا المعصية ويعملوا بالطاعة، فقال -سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾[٤١٣]، وخاطب الله الكافرين أيضًا بالتقوى، والمراد من ذلك الإقلاع عن الشرك والإتيان بالتوحيد، كما جاء ذلك في قصص الأنبياء حينما قال كل نبي لقومه: ﴿أَلاَ تَتَّقُونَ﴾[٤١٤]، وغيرها من الآيات، فهو حث لهم على الإتيان بالتوحيد الخالص لله وترك الشرك الذي هم عليه من عبادة الأوثان.

ثم ذكر المؤلف عثرات اللسان حينما قال: (يخافُ من لسانِهِ أشدُّ مِمَّا يخافُ من عدوِّهِ؛ لأنَّ ما يتكلمُ به الإنسانُ في هذِهِ الدُّنيَا؛ إمَّا لَهُ، وإمَّا عليْهِ، إلاَّ ذكرُ الله -تعالَى). فإذا علم المسلم على وجه العموم، وقارئ القرآن على وجه الخصوص أن الله -تعالى- مطلع على ما يقوله ويتكلم به، حينئذ لا يتكلم إلا حقًّا، ولا يقول إلا صدقًا: وقد قال الله -تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٤١٥]، فالله -تعالى- قد أنعم عليك بهذا اللسان الذي هو آلة الكلام؛ لتستخدمه فيما يحبه الله -تعالى- ويرضاه من: قراءة للقرآن والتسبيح والتهليل، وقول المعروف والخير؛ وذلك لتكسب ذلك الثواب العظيم، ولأن أكثر ما يوقع الناس -نسأل الله السلامة والعافية- في الذنوب والمعاصي ثم في النار هي الألسنة، وجاء في الحديث: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَبَيْنَ فَخِذَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ»[٤١٦]. ولأن أكثر ما يورد الناس النار هذه الألسنة، وبهذا اللسان يستطيع الإنسان أن يدخل في الإسلام بعد الكفر، وقد يتحول من الإسلام إلى الكفر بهذا اللسان، ورُبَّ كلمة قالت لصاحبها: دعني، فيحفظ لسانه من القيل والقال والغيبة النميمة وفاحش القول.

فعلى قارئ القرآن أن يبتعد عن المثالب والمزالق العظيمة التي يقولها بلسانه، ولما أوصى النبي -عليه الصلاة والسلام- ذلك الصحابي ببعض شرائع الإسلام قال له: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ»[٤١٧]. فبين له -عليه الصلاة

---

(٤١٣) النساء: ١.

(٤١٤) الشعراء: ١٤٢.

(٤١٥) ق: ١٨.

(٤١٦) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد -رضي الله عنه.

(٤١٧) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٢٢٠١٦) ، الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٦) ، قال الترمذي: حسن صحيح، ابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة (٣٩٧٣) ، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح، من حديث معاذ بن جبل به.

والسلام- أن يمسك عليه لسانه فقال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ»[٤١٨]. لأن الذي يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم حصائد ألسنتهم، فالذي ينازع الإنسان في هذه الحياة أعداء كثيرون منهم: النفس الأمَّارة بالسوء، والهوى المسيطر على القلوب، والشيطان العدو اللدود للإنسان، فيحذر من الهوى؛ لأن الهوى مهلك، قال -تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٤١٩].

فالهوى هو الذي أضل كثيرًا من الناس، ودائمًا الهوى يقترن بأمرين خطيرين: بالضلال وبالظلم، قال -تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤٢٠]، فمن وقع في الهوى وقع في الضلال والظلم والهوى، وإما أن يُجرَّ إلى شبهة أو إلى شهوة وركوب مطية الشبهات؛ فيؤول النصوص، ويجنح إلى فساد العقل، أو أنه يكون في هوى الشهوات: متاع الدنيا وزخارفها والزنا والربا ومشاهدة المنكرات، هذه كلها تجر، قال -تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٤٢١]، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾[٤٢٢]، الهوى قد يكون مسيطرًا على الإنسان لا ينفك عنه -نسأل الله السلامة والعافية.

فليحذر قارئ القرآن من ركوب مطية الهوى؛ لأنه يقرأ في القرآن هذه الآيات التي تنذر وتحذر من الهوى؛ الهوى في الشبهة أو الهوى في الشهوة، وذكر أنه لا ينبغي لقارئ القرآن أن يغتاب أحدًا أو يَنُمَّ (يسعى بالنميمة) أو بالكذب؛ لأنه يقرأ ذلك في القرآن: ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[٤٢٣]، ويقرأ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٤٢٤]، فكيف يفعل هذا؟! إذن

---

(٤١٨) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٦) قال الترمذي: حسن، من حديث عقبة بن عامر -رضي الله عنه-، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

(٤١٩) النازعات: ٣٧ - ٤١.

(٤٢٠) القصص: ٥٠.

(٤٢١) الكهف: ٢٨.

(٤٢٢) الجاثية: ٢٣.

(٤٢٣) الحجرات: ١٢.

هو علم وخالف ما علم، وهذا أكبر مقتًا عند الله -تعالى، فقال -سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾(٤٢٥).

ونهى عن الظن السيئ بالناس وتتبع العورات، وفي هذا الزمن ابتُلي كثير من الناس بالغيبة والنميمة والظن السيئ بالناس ونشر العورات، سواء كان في المجالس أو في المنتديات أو مواقع النت التي ينشرون فيها عورات الناس ويفضحونهم، وربما قالوا فيهم ما ليس فيهم، وقد قال الله -تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾(٤٢٦)، وقال -تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(٤٢٧)، وقال -تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(٤٢٨).

فأين أصحاب العقول من هذه الأدلة وهذه الآيات؟! أين أهل القرآن حينما يسمعون مثل هذه الآيات، وتجرهم أيديهم وألسنتهم وأعينهم إلى فعل هذه المخالفات؟! نسأل الله السلامة والعافية.

ثم أكد على قضية مهمة وهي لزوم الكتاب والسنة، وقال: إن الله -تعالى- قد مَنَّ عليك بالقرآن والسنة، فخذ الفقه بدليله من الكتاب والسنة، وتعلم العلم الصحيح من الكتاب والسنة حتى تعبد الله على بصيرة، ونهى عن الظلم الذي يقع فيه بعض الناس، والظلم ظلمات يوم القيامة، وقد قال الله -تعالى- في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا»(٤٢٩).

---

(٤٢٤) القلم: ١١.

(٤٢٥) الصف: ٢ - ٣.

(٤٢٦) النور: ١٩.

(٤٢٧) الأحزاب: ٥٨.

(٤٢٨) النساء: ١١٢.

(٤٢٩) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر -رضي الله عنه.

وحث على كظم الغيظ، والعفو عن زلات الناس؛ لأن العفو عن زلات الناس وكظم الغيظ الذي يسمعه من صفات أهل التقوى، كما في قوله -تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٤٣٠]، وقال -تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[٤٣١]، ثم ذكر بعد ذلك صفاتهم، ومن صفاتهم أنهم يكظمون الغيظ ولا يسارعون في العقوبة، بل يسارعون إلى العفو والتسامح وعدم الانتقام والتشفي، هذه صفات المؤمن وصفات قارئ القرآن على وجه الخصوص.

ومما ينبغي على قارئ القرآن أيضًا أن يتعلم القرآن لوجه الله -تعالى، فلا يتعلمه لينال به جاهًا ومكانة بين الناس، أو يطلب به دنيا، ولا حرج في أن يدخل مسابقات قرآنية لأجل التنافس وألا يشترط فيها شيئًا، فلا يقول: سأدخل المسابقة حتى تعطوني كذا، بل هو يدخل مع المتسابقين ومع الحفظة، وإذا أعطي على ذلك جُعلاً فله أن يأخذه، وهذا مما يشجعه ويؤيده؛ وكان بعض السلف يفعلون ذلك مع القرآن، فيجعلون له الحوافز ويجعلون لهم الجعول ليشجعوهم على حفظ القرآن الكريم، لكن إذا انصرفت النية إلى هذا المال وإلى كسب الوجاهة وحتى يقال: إنه قارئ، فقد ورد أن قارئ القرآن الذي لا يعمل به، ويطلب به الرياء هو من الثلاثة الذين هم أول مَن تُسعَّر بهم النار، كما في صحيح مسلم، حتى أنه يقال له: قرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل[٤٣٢]، أي: قيل هذا الأمر.

فقارئ القرآن لا بد أن يكون خالصًا لله، لا يتزلف به إلى مكانة أو منصب أو جاه أو طلب الدنيا أو التقرب إلى أهلها، إنما يطلبه ابتغاء مرضاة الله وطلب الثواب منه، فالناس يأتونه -بدون قصده- محبة فيه ورغبة إليه.

وعليه أيضًا أن يصحب الأخيار من الناس، ويجالس أهل العلم والصالحين من عباد الله، ولا يعدو عيناه عنهم، كما قال الله -تعالى- لنبيه -عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[٤٣٣]، فعليه أن يجالس الفقراء والمساكين وأهل العلم والصالحين يستفيد منهم ويفيدهم أيضًا، ويزداد بهم إيمانًا، ويقرأ قصص

---

(٤٣٠) البقرة: ٢٣٧.

(٤٣١) آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤.

(٤٣٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

(٤٣٣) الأنعام: ٥٢.

المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن العلماء ومن الفقهاء؛ فإن هذا يزيده إيمانًا ويثبته على الحق ويدفعه إلى العلم، كما قال الله –تعالى– مسليًا نبيه –عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(٤٣٤).

فالله –تعالى– حينما يقص عليه هذه القصص فإن فيه تثبيت للقلب، كذلك إذا جالس الإنسان الصالحين والأخيار، كمثل هذا المجلس العامر بذكر الله –تعالى– فإنه يثبت قلبه، ويقوى إيمانه، ويدفعه إلى الطاعة، ويبعده عن المعصية، ويزيده إيمانًا على إيمان، وهذا هو الذي يحبه الله –تعالى– ويرضاه من أهل الإسلام، وأهل القرآن على وجه الخصوص.

ثم ذكَّر المصنف بأمر في غاية الأهمية وهو بر الوالدين، فهذه المسألة قد أكد عليها القرآن الكريم، ومن فضل بر الوالدين ومكانتهما عند الله أن الله –جل وعلا– قد قرن حقه بحقهما في أربع آيات في القرآن الكريم، فقال –تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَّ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٤٣٥)، وقال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٤٣٦).

فقرن الله –تعالى– هذا الحق العظيم –توحيد الله تعالى– بحق الوالدين لما لهما من الفضل العظيم؛ ولهذا تجد أن الوصية ببر الوالدين في القرآن جاءت في ثلاثة آيات في سور: العنكبوت ولقمان والأحقاف، وكلها جاءت بلفظ الإنسان لم تأتي بلفظ المرء، ولم يقل: المسلم، ولم يقل: المرء، ولم يقل: العبد، يقول أهل التفسير: لأن هذا أمر إنساني أصلاً وجبلي في الإنسان، وهو أن مَن أحسن إليك تحسن إليه، فالوالدان هما السبب في وجودك بعد الله في هذه الدنيا، فجاءت الوصية من الله –تعالى– للأولاد ببر آبائهم، ولم يأتِ التأكيد من الوالدين على الاهتمام بأولادهما إلا في مواضع محدود؛ لأن محبة الوالد لأبنائه مغروسة في قلوبهم وجِبلة في حياتهم، فهل رأيتم أبًا يكره أولاده أو يكره ابنه أو ابنته إلا مَن شذ؟! فكل أم وأب يحبون أولادهم؛ وهذا مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾(٤٣٧)،

---

(٤٣٤) هود: ١٢٠.

(٤٣٥) النساء: ٣٦.

(٤٣٦) الإسراء: ٢٣.

(٤٣٧) التحريم: ٦.

فهذا أمر أيضًا بالإنقاذ بالخير، وكما قال الله -تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٤٣٨)، والأهل يدخل فيه جميع ما يتعلق بالرجل من زوجة وأولاد.

الشاهد أن أمر الوالدين أمر عظيم، وقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال للنبي -عليه الصلاة والسلام: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا». قلت: ثم أي؟ قال: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قلت: ثم أي؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله»(٤٣٩).

فانظر كيف جعل بر الوالدين في الوسط؟! وذلك لأن الصلاة جهاد معنوي، فالإنسان يجاهد نفسه في أداء هذه الصلاة، ويترك شهواته ويقوم من نومه، ويترك عمله ودنياه ويذهب إلى أداة الصلاة ويجاهد نفسه، أما الجهاد في سبيل الله فهو جهاد حسي، الذي هو منازلة الأعداء وإعلاء كلمة الله -تعالى، أما بر الوالدين فاجتمع فيه الجهاد الحسي والجهاد المعنوي؛ ولهذا جاء برُّهم في الوسط، فهذه وصية عظيمة من الله -تعالى- ذكَّرنا بها المؤلف في هذه الوصية، ويلزم نفسه بر والديه؛ لأن عقوق الوالدين من كبائر الذنوب، وقد توعد الله عليه وجعله من السبع الموبقات.

ثم ذكر أمرًا آخر وهو صلة الأرحام والتواصل معهم، وما لهم من الحقوق، والأرحام يتفاوتون في هذا، والأحق بالصلة الوالدان، ثم من دونهم فمن دونهم.. وهكذا، وقد أمر الله -تعالى- في ذلك وتوعد مَن قطع رحمه، قال -تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾(٤٤٠). وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾(٤٤١)، ومن قطع رحمه حقت عليهم اللعنة، قال الله -تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٤٤٢)، ويُروَى عن عبد الله بن مسعود أنه كان في درس، ثم لما انتهى أراد أن يدعوا فقال: أنشد

---

(٤٣٨) طه: ١٣٢.

(٤٣٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (٥٢٧، ٢٧٨٢) ، مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الأعمال بالله أفضل الأعمال (٨٥) من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-.

(٤٤٠) محمد: ٢٢ - ٢٣.

(٤٤١) الرعد: ٢١.

(٤٤٢) الرعد: ٢٥.

الله قاطعَ الرحم أن يقوم من بيننا؛ لأنه لا تقبل دعوة لقاطع الرحم(٤٤٣)، هذا من باب التغليظ والترهيب في هذا الأمر المنكر العظيم، فالمؤمن على وجه العموم وقارئ القرآن على وجه الخصوص يهتم بهذه المعاني العظيمة؛ هذا هو العمل بالقرآن.

فالعمل بالقرآن هو التطبيق لما فيه من بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان وحفظ اللسان، ثم ذكَّر المؤلف بالصبر على المصائب، وأن العبد مبتلى في هذه الدنيا بالمصائب، فعليه أن يصبر وأن يتحمل ويتذكر ما ورد في القرآن وفي السنة؛ فإن هذا يخفف ألمه ومصابه، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويعلم أن ما أصابه من ذنب فمما كسبت يده، كما قال الله -تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٤٤٤).

فالمصائب إذا حلت بالعبد عليه أن يصبر ولا يقلق ولا يصخب ولا يغضب لا يتحسر؛ لأنه في دار بلاء ودار امتحان ودار فتن: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(٤٤٥) وقال -تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٤٤٦)، فإذا قرأ مثل هذه الآيات قوي إيمانه وخفت عليه المصائب التي تنزل، بخلاف مَن لم يعلم القرآن ولم يقرأه، هذا يحصل له من الفزع والخوف والقلق والاضطراب والحسرة الندامة الشيء العظيم؛ لأن قلبه غير عامر بالقرآن الكريم.

ثم ذكَّر بالعبادة فقال: (ولا يرضَى من نفسِهِ أن يؤدِي ما فرضَ اللهُ عليهِ بجهلٍ). فلا بد من العلم، والله -تعالى- قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾(٤٤٧)، فقدم العلم قبل العمل، وقال الله -تعالى- في آخر سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾(٤٤٨)، أي: على علم، فالدعوة تكون على بصيرة، والعبادة تكون على بصيرة، والبصيرة هنا بمعنى العلم، والعلم كما هو معلوم علمان: علم واجب ولازم على العبد أن يتعلمه وفرض، وعلم

---

(٤٤٣) ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٢٠٢٤٢) ، والبيهقي في الشعب (٧٩٦٤) بنحوه، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٥٠٢) : ضعيف موقوف.

(٤٤٤) الشورى: ٣٠.

(٤٤٥) الملك: ٢.

(٤٤٦) الأنبياء: ٣٥.

(٤٤٧) محمد: ١٩.

(٤٤٨) يوسف: ١٠٨.

كفائي، والعلم الواجب الفرضي هو ما يقوِّم به عبادته وفرائض الدين، فعليه أن يتعلمها فلا يعبد الله –تعالى– بجهل حتى في السنن وفي الرواتب وفي الأذكار وفي الأدعية، عليه أن يتعبد الله –تعالى– فيها بعلم، ويعرف: هل هذا ثابت عن النبي –عليه الصلاة والسلام– وقد أمر به وصح عنه فيتعبد الله –تعالى– به أم لم يأمر به؟ ولا يأتي بعبادة إلا وهي مشروعة في الكتاب أو في السنة.

ثم ذكر بالتحلي بصفات عباد الرحمن تجاه القرآن الكريم، وألا يكون هم الإنسان أن يختم القرآن أو يختم الجزء أو السورة، وإنما عليه أن يُسأل نفسه: متى أكون من الصالحين؟ متى أكون من المخلصين؟ متى أكون من العابدين؟ يسأل قارئُ القرآن نفسه حتى يكمل ما نقص من حياته، ويبتعد عن ما وقع فيه من التقصير والعصيان، فيسأل نفسه حتى يعرف أخطاءه، إلا أنه قال هنا: عليه بالضحك وأن يخشاه ويخشى سوء عاقبته، المقصود بالضحك هنا سوء العاقبة، فالمراد بها الضحك والاستهزاء بالآخرين، ولكن الإنسان المسلم يبتسم ويضحك ويمازح ويمرح أيضًا ولكن بحدود وبقدر محدود، كما كان النبي –عليه الصلاة والسلام– يفعل ذلك في حياته.

ثم ذكر التحذيرَ من الأمر العظيم الخطير الذي يخافه كل إنسان؛ وهي النار التي وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير، ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤٤٩]، فعليه أن يحذر من هذه النار، ومن عمل أهل النار، ومن فعل أهل النار؛ فإن هذه النار العظيمة قد توعد الله –تعالى– بها من أشرك ومات على الشرك ومن كفر، ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٤٥٠]، فإذا قرأ هذه الآيات العظيمة التي في حق أهل النار سأل الله العافية والسلامة، وابتعد عن فعلهم وعملهم؛ لأن أصحاب النار إذا دخلوا النار ندموا وتحسروا على ما فعلوا، ويقولون: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٥١]، قال الله –تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤٥٢].

---

(٤٤٩) الحج: ٧٢.

(٤٥٠) الحج: ٧٢.

(٤٥١) الأنعام: ٢٧.

(٤٥٢) الأنعام: ٢٨.

فاشترِ نفسك في هذه الحياة الدنيا من عذاب النار بالاتصاف بصفات التقوى، وستكون هناك الاعترافات الحقيقية في يوم القيامة عند أهل النار لَمَّا يدخلونها ويشعرون بعذابها وحرِّها وسعيرها، فهم يقولون: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٤٥٣]، هذا اعتراف، أنتم تعقلون وتسمعون لكنكم لا تسمعون ولا تعقلون عقلَ رشد لا سماعَ رشد، تعرضون عن ذكر الله، فكانت هذه هي العاقبة، فتمنوا أن لم يكونوا كذلك، فهذا تذكير وتخويف، فالقرآن فيه ترغيب وترهيب، فلا تأتي آية فيها ترغيب إلا بعدها ترهيب، وما تأتي آية فيها ترهيب إلا بعدها ترغيب.. وهكذا، فالقرآن يرغب ويرهب، وتقرأون هذا في كثير من سور القرآن وأجزائه وأحزابه؛ يأتي ذكر أهل الجنة وما أعد الله –تعالى– فيها، ثم يأتي ذكر أهل النار وما أعد فيها من العذاب المقيم.

فقارئ القرآن إذا تلا القرآن، فعليه أن ينعم النظر في هذه الآيات، وأن يعمل بها حتى تحصل له الخيرية الموعود بها من النبي –عليه الصلاة والسلام– ويحصل له الثواب العظيم والأجر الكبير من الرب الرحيم.

قال المؤلف –رحمه الله: (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ[٤٥٤] عَنْ أَبِيهِ[٤٥٥] عَنْ رَسُولِ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيهِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟!»[٤٥٦]، وَعَنْ خَيْثَمَةَ[٤٥٧] قَالَ: مَرَّتِ امْرَأَةٌ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَقَالَتْ: طُوبَى لِحِجْرٍ حَمَلَكَ

---

(٤٥٣) الملك: ١٠.

(٤٥٤) سهل بن معاذ بن أنس الجهني الشامي. شامي نزل مصر. روى عن أبيه –وله صحبة–. روى عنه إسماعيل بن يحيى المعافري، وثور بن يزيد الرحبي الحمصي، وغيرهما. ذكره بن حبان في كتاب الثقات، وروى له البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي وابن ماجه. قال ابن حجر في التقريب: لا بأس به، إلا في روايات زبان عنه. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٢٠٨ ترجمة ٤٥٣)، وميزان الاعتدال (٢/ ٢٤١ ترجمة ٣٥٩٢).

(٤٥٥) معاذ بن أنس الجهني، حليف الأنصار. نزل مصر روى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أحاديث، وعن أبي الدرداء، وكعب الأحبار، وروى عنه ابنه سهل بن معاذ، ولم يرو عنه غيره، وهو لين الحديث إلا أن أحاديثه حسان في الفضائل والرغائب. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٥٥ ترجمة ٢٢٧٦)، والإصابة (٦/ ١٣٦ ترجمة ٨٠٤٢).

(٤٥٦) ضعيف: أخرجه أبو داود: كتاب سجود القرآن، باب في ثواب قراءة القرآن (١٤٥٣)، وقال الألباني في ضعيف أبي داود: ضعيف.

(٤٥٧) خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة يزيد بن مالك بن عبد الله بن ذؤيب بن سلمة بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفي المذحجي، ثم الجعفي الكوفي، الفقيه. لأبيه ولجده صحبة. حدث عن أبيه، وعن عائشة، وطائفة. ولم يلق ابن مسعود. كان من العلماء العباد، سخيا، جوادا

وَلِثَدْيِ رَضَعْتَ مِنْهُ، فَقَالَ عِيسَى: طُوبَى لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ[٤٥٨]. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ[٤٥٩] عَنْ أَبِيهِ[٤٦٠] عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الرَّجُلِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَظْمَأْتُ نَهَارَكَ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ»[٤٦١]. عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ فَسَيُقْرَأُ الْقُرْآنُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ لله -تَعَالَى، وَصِنْفٌ لِلدُّنْيَا، وَصِنْفٌ لِلْجَدَلِ، فَمَنْ طَلَبَ بِهِ أَدْرَكَ)[٤٦٢]. قال: محمد بن حسين: (قَدْ ذَكَرْتُ أَخْلَاقَ الصِّنْفِ الَّذِي قَرَأَ الْقُرْآنَ يُرِيدُونَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِقِرَاءَتِهِمْ، وَأَنَا أَذْكُرُ الصِّنْفَيْنِ اللَّذَيْنِ يُرِيدَانِ بِقِرَاءَتِهِمَا الدُّنْيَا وَالْجَدَلِ، وَأَصِفُ أَخْلَاقَهُمْ؛ حَتَّى يَعْرِفَهَا مَنِ اتَّقَى اللهَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ فَيَحْذَرَهَا -إِنْ شَاءَ اللهُ).

ختم هذا الباب بذكر هذه الأحاديث والآثار، ومنها: حديث سهل، وسهل بن معاذ هذا هو نزيل مصر، قال ابن حجر: لا بأس به والده صحابي، وهو معاذ بن أنس الجهني، والحديث أخرجه أحمد[٤٦٣] والحاكم[٤٦٤] [٤٦٥]بطرق متعددة،

يركب الخيل ويغزو. قال ابن حجر في التقريب: ثقة وكان يرسل. انظر: تهذيب الكمال (٨/ ٣٧٠ ترجمة ١٧٤٧) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٠ ترجمة ١١٥) .

(٤٥٨) أخرجه أحمد في "الزهد" (ص٥٧) ، تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٣٣، ٤٣٤) .

(٤٥٩) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الحافظ الإمام، شيخ مرو وقاضيها، أبو سهل الأسلمي المروزي، أخو سليمان بن بريدة، وكانا توأما، ولدا سنة خمس عشرة. حدث عن أبيه فأكثر، وعمران بن الحصين، وعبد الله بن مغفل المزني، وأبي موسى، وعائشة، وأم سلمة، وذلك في السنن. وكان من أوعية العلم. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. مات سنة خمس عشرة ومئة. تهذيب الكمال (١٤/ ٣٢٨ ترجمة ٣١٧٩) ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٥٠ ترجمة ١٥).

(٤٦٠) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث، أبو عبد الله الأسلمي، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وشهد خيبر، وفتح مكة، واستعمله النبي -صلى الله عليه وسلم- على صدقات قومه. له جملة أحاديث، نزل مرو، ونشر العلم بها. مات سنة ثلاث وستين. انظر: الاستيعاب (ص: ٩٤ ترجمة ٢١٩) ، والإصابة (١/ ٢٨٦ ترجمة ٦٣٢) .

(٤٦١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٢٢٩٧٦، ٢٢٩٥٠) ، ابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن (٣٧٨١) ، صححه الألباني في السلسة الصحيحة (٢٨٢٩) .

(٤٦٢) أخرجه الدارمي في سننه (٣٣٢٩) ، الأمالي لابن الشجري (ص٦١) .

(٤٦٣) أخرجه أحمد في المسند (١٥٦٨٣) .

(٤٦٤) الإمام الحافظ، الناقد العلامة، شيخ المحدثين، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري، الشافعي، صاحب المستدرك. مولده في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بنيسابور. وطلب العلم في صغره بعناية والده وخاله، وأول سماعه كان في سنة ثلاثين وثلاث مئة، وقد استملى على أبي حاتم ابن حبان في سنة أربع وثلاثين

ولكن هذا الأثر الذي في كتاب الآجري فيها زبان[٤٦٦] مضعف، وهذا الحديث في بيان فضل القرآن، وأن مَن قرأ القرآن وعمل بما فيه حصلت له الفضائل العظيمة، قال: (أُلبِسَ والدَاهُ تَاجًا)، التاج هنا هو الإكليل الذي يجعل على رؤوس الملوك المرصع بالجواهر من باب التعظيم والتفخيم والتمييز لهم عن سائر الناس، وقوله: (أحسنُ من ضوءِ الشمسِ)، هذا مبالغة في الحسن، فيأتي قارئ القرآن أفضل من ضوء الشمس الذي يدخل البيت؛ لأن الضوء المعروف إذا حُبس في مكان أعطى إضاءة أقوى، لكن إذا كان هذا الضوء منتشرًا في مكان واسع كان نوره أقل، لكن إذا حبس في مكان أصبح الضوء قويًّا، كما قال الله -تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[٤٦٧].

فقارئ القرآن ينال هذا الضوء وهذا النور، الذي هو أكثر من ضوء الشمس الذي حتى لو دخل في البيت وهذا من الفضل، هذا يُلبَس الذي تسبب في قراءة القرآن، فالوالد والوالدة إذا تسببا في حفظ أحد من أولادهما القرآن الكريم ناله هذا الأجر العظيم، فكيف بالذي قرأ القرآن وعمل بما فيه؟! كما قال هنا: «فما ظنُّكُم بالذي عَمِلَ»، يعني: الذي عمل بالقرآن في نفسه فإنه يُعطى من التاج والكرامة والعز أكثر مما سمعتم الآن، فذاك التاج الذي يلبس هو لمن تسبب في قراءة القرآن، فكيف بالذي قرأ ثم عمل أيضًا بالقرآن الكريم؟!

والأثر الثالث والعشرون عن خيثمة، وخيثمة هذا هو خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي، وهو ثقة يقول العلماء: إنه قد أخذ هذه الحكاية من أصحاب أهل الكتاب، والمعنى أن العاقبة الطيبة لا تكون لأحد من الناس إلا لمن قرأ القرآن واتبع أوامره ونواهيه، قال: (فقالَ عيسَى: طوبَى لِمَنْ قرأَ القرآنَ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ)[٤٦٨]. فهذا يدل على أن صاحب القرآن له مكانة، والحديث الرابع والعشرون أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم والدارمي، يقول النبي -عليه الصلاة

وثلاث مئة وهو ابن ثلاث عشرة سنة. توفي في سنة ثلاث وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢ ترجمة ١٠٠) ، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٥ ترجمة ٣٢٩) .

(٤٦٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٥٦) ، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤٦٦) زبان بن فائد، أبو جوين الحمراوي المصري، قال ابن حبان: منكر الحديث جدا. قال ابن حجر في التقريب: ضعيف الحديث مع صلاحه وعبادته. مات سنة خمس وخمسين ومئة. انظر: المجروحين لابن حبان (١/ ٣٥٠ ترجمة٣٨١) ، وتهذيب الكمال (٩/ ٢٨١ ترجمة ١٩٥٣) .

(٤٦٧) النور: ٣٥.

(٤٦٨) سبق تخريجه.

والسلام: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الرَّجُلِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَظْمَأْتُ نَهَارَكَ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ»(٤٦٩). الشاحب: هو المتغير في لونه وجسمه لعارض من العوارض؛ كمرض أو سفر أو إرهاق أو تعب، فإذا تغير في هذه الدنيا سوف يتغير في الأخرى إلى ما هو أحسن منه؛ ولهذا قال في هذا الحديث: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي بعض الروايات: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ»، وفي رواية: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ لَهُ لِسَانٌ وَعَيْنَانِ»(٤٧٠)، وهذا من الأحاديث التي تكلم فيها أهل العلم كالبخاري -رحمه الله- فقد تكلم في هذا الحديث في كتاب أخلاق أفعال العباد، وتكلم عنه أيضًا الترمذي في الجامع، وتكلم عنه شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ(٤٧١)، ومعنى مجيء القرآن مجيء ثواب القرآن، وهو أن الله -تعالى- يجعل هذا الثواب كأنه رجل له عينان وله لسان يتكلم ويتبع قارئ القرآن ويبشره بالخير والرحمة في ذلك الموقف العظيم، وهذا هو المعنى المفهوم من قوله: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الرَّجُلِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ»، فكأنه يقول: أنا الذي أتعبتك في النهار، وأظمأتك في الهواجر الشديدة، كنت تقرأ القرآن وجعلتك تسهر الليل وتحفظ القرآن وتدارس القرآن: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾(٤٧٢).

فهنا طرفان؛ الأول: خوف، وهو قوله: يحذر الآخرة ، والثاني: رجاء، وهو قوله: يرجو رحمة ربه، فهذا رجاء وخوف في الآية كما قال -تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾(٤٧٣)، فجمعوا بين الرجاء والخوف.

---

(٤٦٩) سبق تخريجه.

(٤٧٠) .....

(76) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل الضلال، ونصر به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله من المؤلفات: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

(٤٧٢) الزمر: ٩.

(٤٧٣) الإسراء: ٥٧.

وفي الأثر الخامس والعشرين عن علي -رضي الله عنه- أنه صنف الناس إلى ثلاثة أصناف: منهم صنف يقرأون يبتغون بذلك ما عند الله وهؤلاء هم القليل، وصنف يطلبونه للدنيا والمكانة والسمعة والرياء، وصنف يجادلون فيه، فمن طلب حاجته أدرك، كما قال -تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٤٧٤]، أي: نعطيه ما يريد، فمن طلب شيئًا من هذه الأصناف الثلاثة أدركها، فلا شك أن الذي يطلب ما عند الله أعظم وأجل وأرفع، وأشدها خطورة هو الجدل، أشد من طلبه في الدنيا، لماذا؟ يقول أبو العالية رفيع بن مهران[٤٧٥]: آيتان في القرآن ما أشدهما على مَن يجادل في القرآن، قوله -تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِّ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾[٤٧٦]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٤٧٧][٤٧٨]، يقول: ما أشد هاتين الآيتين على مَن يجادل في القرآن؟! وفي سورة غافر -سورة المؤمن- وردت فيها المجادلة في أربعة مواضع؛ لأن الكفار جادلوا مجادلة كبيرة في القرآن في أولها: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِّ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤٧٩]، وفي وسطها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾[٤٨٠]، وفي آخرها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِّ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾[٤٨١]، فكلها جدال، فهؤلاء الكفار كانوا يجادلون بالقرآن الكريم فضلاً عن المجادلة التي حصلت ما بين

---

(79) الشورى: ٢٠.

(80) رُفَيع بن مهران، أبو العالية الرياحي، البصري، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه. حفظ القرآن، وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبعد صيته. قرأ القرآن على عمر -رضي الله عنه- ثلاث مرار. قال ابن حجر في التقريب: ثقة كثير الإرسال. مات سنة ثلاث وتسعين. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٢١٤ ترجمة ١٩٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧ ترجمة ٨٥).

(٤٧٦) غافر: ٤.

(82) أخرجه الهروي في "ذم الكلام" (١٩٢).

(٤٧٨) البقرة: ١٧٦.

(٤٧٩) غافر: ٤.

(٤٨٠) غافر: ٥٦.

(٤٨١) غافر: ٦٩.

ذلك الرجل المؤمن وغيره، وقال ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٤٨٢] إلى آخر الآية، والمحاجة والمجادلة بين أهل النار فيها، فالمجادلة في القرآن تصير بالإنسان -نسأل الله السلامة- إلى الكفر؛ ولهذا قال -تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤٨٣].

وقد جاء في حديث عند أحمد وأبي داود بإسناد جيد من حديث أبي هريرة قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «جِدَالٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»[٤٨٤]، وعند مسلم أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلاَفِهِمْ فِي الْكِتَابِ»[٤٨٥].

فالإنسان لا يجادل في آيات الله ولا يعارض بعضها ببعض كالزنادقة وكالمستشرقين في زمننا هذا، الآن يحتجون ببعض الآيات كقوله -تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤٨٦]، وفي آية: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤٨٧]، يقول هذا تناقض، وليس في هذا تناقض فكلام الله -تعالى- محكم ومفصل، وكما قال -تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ ولاَ جَانٌّ﴾[٤٨٨]، وفي آية أخرى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٤٨٩]، ليس هذا تعارض، وقد أجاب عليه أهل العلم.

---

(٤٨٢) غافر: ٣٨.

(٤٨٣) غافر: ٤.

(89) حسن صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٧٩٨٩) ، أبو داود: كتاب السنة، باب النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ فِى الْقُرْآن (٤٦٠٣) ، قال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

(90) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (٢٦٦٦) .

(٤٨٦) المعارج: ٤.

(٤٨٧) السجدة: ٥.

(٤٨٨) الرحمن: ٣٩.

(٤٨٩) الصافات: ٢٤.

يقول السائل: قد يصعب على بعض الناس الاتصاف بجميع الصفات المذكورة، فهل مِن حرج عليه؟

ج: هذه الصفات خير كلها، فمن اتصف بها فقد فاز -إن شاء الله- وأفلح وسعد في حياته.

يقول السائل: هل مَن تسبب في حفظ القرآن للطفل ولو كان أخًا أو عمًّا أو جَدًّا يلبس التاج؟

ج: مَن دل على خير فله مثل أجره، وليس الأمر مقصورًا على مَن ورد في الحديث؛ لأن الحديث فيه ضعف، ولكن العمل الخير لن يعدم الإنسان الأجر والثواب من المشاركة فيه، فمن دل على خير فله مثل أجره، ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها.

يقول السائل: يعرض نيته شوائب وأحاول المجاهدة في ذلك كثيرًا، فما قولكم في هذا؟

ج: احرص على أن تجاهد نيتك في كل يوم في كل ما تستطيع؛ ولهذا قال سفيان الثوري[95]: "أشد ما واجهت علي في حياتي نيتي فإنها تتقلب علي"[96]، فالإنسان يجاهد نفسه ويجدد نيته، ويجعلها خالصة لله -تعالى.

يقول السائل: مَن أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما فعليه بالقرآن، هل هذا قول صحيح من الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم؟

ج: لم يثبت هذا الحديث، ولكن الذي يريد الرفعة في الدنيا فعليه بالقرآن، فالإنسان يقرأ القرآن لينال الرفعة في الدنيا والسعادة وطمأنينة القلب وراحة البال ومحبة الناس والتوفيق والسداد، فهذا يكون في الدنيا من الخير له، فضلاً عمَّا يناله من الأجر والثواب في الآخرة، ولكنني لم أقف على الأثر.

قال المؤلف -رحمه الله: (بَابُ أَخْلاَقِ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لاَ يُرِيدُ بِهِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ) قال: محمد بن حسين -رحمه الله: (فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لِلدُّنْيَا وَلأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ مِنْ أَخْلاَقِهِ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحُرُوفِ الْقُرْآنِ مُضَيِّعًا لِحُدُودِهِ، مُتَعَظِّمًا فِي

---

(95) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، والسير (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

(96) أخرجه الخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي" (١/ ٣١٧).

نَفْسِهِ، مُتَكَبِّرًا عَلَى غَيْرِهِ، قَدْ أَخَذَ الْقُرْآنَ بِضَاعَةً يَتَأَكَّلُ بِهِ الأَغْنِيَاءَ، وَيَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ، يُعَظِّمُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا وَيُحَقِّرَ الْفُقَرَاءَ، إِنْ عَلِمَ الْغَنِيَّ رَفَقَ بِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَا، وَإِنْ عَلِمَ الْفَقِيرَ زَجَرَهُ وَعَنَّفَهُ؛ لأَنَّهُ لاَ دُنْيَا لَهُ، يَطْمَعُ فِيهَا، يَسْتَخْدِمُ بِهِ الْفُقَرَاءَ، وَيَتِيهِ بِهِ عَلَى الأَغْنِيَاءَ، إِنْ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ لِلْمُلُوكِ وَيُصَلِّيَ بِهِمْ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُمْ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْفُقَرَاءُ الصَّلاَةَ بِهِمْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِقِلَّةِ الدُّنْيَا فِي أَيْدِيهِمْ، إِنَّمَا طَلَبُهُ الدُّنْيَا؛ حَيْثُ كَانَتْ رَبَضَ عِنْدَهَا، يَفْخَرُ عَلَى النَّاسِ بِالْقُرْآنِ، وَيَحْتَجُّ عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْحِفْظِ بِفَضْلِ مَا مَعَهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ، وَزِيَادَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْغَرَائِبِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الَّتِي لَوْ عَقِلَ لَعَلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَلاَّ يَقْرَأَ بِهَا، فَتَرَاهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا، كَثِيرَ الْكَلاَمِ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ، يَعِيبُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ كَحِفْظِهِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَهُ، مُتَكَبِّرًا فِي جِلْسَتِهِ، مُتَعَاظِمًا فِي تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ، لَيْسَ لِلْخُشُوعِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ، كَثِيرَ الضَّحِكِ وَالْخَوْضِ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ، يَشْتَغِلُ عَمَّنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِحَدِيثِ مَنْ جَالَسَهُ، هُوَ إِلَى اسْتِمَاعِ حَدِيثِ جَلِيسِهِ أَصْغَى مِنْهُ إِلَى اسْتِمَاعِ مَنْ يُحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَمِعَ لَهُ، يُرِي أَنَّهُ لِمَا يَسْتَمِعُ حَافِظًا، فَهُوَ إِلَى اسْتِمَاعِ كَلاَمِ النَّاسِ أَشْهَى مِنْهُ إِلَى كَلاَمِ الرَّبِّ -عَزَّ وَجَلَّ-، لاَ يَخْشَعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَلاَ يَبْكِي وَلاَ يَحْزَنُ وَلاَ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْفِكْرِ فِيمَا يُتْلَى عَلَيْهِ وَقَدْ نَدَبَ إِلَى ذَلِكَ، رَاغِبًا فِي الدُّنْيَا وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا، لَهَا يَغْضَبُ وَيَرْضَى، إِنْ قَصَّرَ رَجُلٌ فِي حَقِّهِ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ لاَ يُقَصَّرُ فِي حُقُوقِهِمْ! وَأَهْلُ الْقُرْآنِ تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ، يَسْتَقْضِي مِنَ النَّاسِ حَقَّ نَفْسِهِ وَلاَ يَسْتَقْضِي مِنْ نَفْسِهِ مَا للهِ عَلَيْهَا، يَغْضَبُ عَلَى غَيْرِهِ زَعَمَ للهِ، وَلاَ يَغْضَبُ عَلَى نَفْسِهِ للهِ، وَلاَ يُبَالِي مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ؛ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلاَلٍ؟ قَدْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ، إِنْ فَاتَهُ مِنْهَا شَيْءٌ لاَ يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ حَزِنَ عَلَى فَوْتِهِ، وَلاَ يَتَأَدَّبُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَلاَ يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، لاَهٍ غَافِلٍ عَمَّا يَتْلُو أَوْ يُتْلَى عَلَيْهِ، هِمَّتُهُ حِفْظُ الْحُرُوفِ، إِنْ أَخْطَأَ فِي حَرْفٍ سَاءَهُ ذَلِكَ لِئَلاَّ يَنْقُصَ جَاهُهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ فَتَنْقُصَ رَتْبَتُهُ عِنْدَهُمْ فَتَرَاهُ مَحْزُونًا مَغْمُومًا بِذَلِكَ، وَمَا قَدْ ضَيَّعَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ -تَعَالَى- مِمَّا أُمِرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ أو نُهِيَ عَنْهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ، أَخْلاَقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلاَقُ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ، لاَ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، إِذَا سَمِعَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَالَ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٤٩٢]، فَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ طَلَبَ الْعِلْمِ؛ لِمَعْرِفَةِ مَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَنْتَهِي عَنْهُ، قَلِيلَ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ، كَثِيرَ النَّظَرِ لِلْعِلْمِ الَّذِي يَتَزَيَّنُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا لِيُكْرِمُوهُ بِذَلِكَ، قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ

(٤٩٢) الحشر: ٧.

بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ الَّذِي نَدَبَ اللهُ عَلَيْهِ ثُمَّ رَسُولُهُ؛ لِيَأْخُذَ الْحَلاَلَ بِعِلْمٍ وَيَتْرُكَ الْحَرَامَ بِعِلْمٍ، لاَ يَرْغَبُ فِي مَعْرِفَةِ عِلْمِ النِّعَمِ وَلاَ فِي عِلْمِ شُكْرِ الْمُنْعِمِ، تِلاَوَتُهُ لِلْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى كِبْرٍ فِي نَفْسِهِ وَتَزَيُّنٍ عِنْدَ السَّامِعِينَ مِنْهُ، لَيْسَ لَهُ خُشُوعٌ فَيَظْهَرَ عَلَى جَوَارِحِهِ، إِذَا دَرَّسَ الْقُرْآنَ أَوْ دَرَسَهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ هِمَّتُهُ مَتَى يَقْطَعُ، لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتَى يَفْهَمُ، لاَ يَتَفَكَّرُ عِنْدَ التِّلاَوَةِ بِدُرُوبِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ، وَلاَ يَقِفُ عِنْدَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِرِضَا الْمَخْلُوقِينَ، وَلاَ يُبَالِي بِسَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يُحِبُّ أَنْ يُعْرَفَ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ، وَيُظْهِرُ خَتْمَهُ لِلْقُرْآنِ لِيَحْظَى عِنْدَهُمْ، قَدْ فَتَنَهُ حُسْنُ ثَنَاءِ الْجَهَلَةِ مِنْ جَهْلِهِ، يَفْرَحُ بِمَدْحِ الْبَاطِلِ وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ أَهْلِ الْجَهْلِ، يَتْبَعُ هَوَاهُ فِيمَا تُحِبُّ نَفْسُهُ، غَيْرُ مُتَصَفِّحٍ لِمَا زَجَرَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُ، إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُقْرِئُ غَضِبَ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَلَى غَيْرِهِ، إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالصَّلاَحِ كَرِهَ ذَلِكَ، وَإِنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ بِمَكْرُوهٍ سَرَّهُ ذَلِكَ، يَسْخَرُ بِمَنْ دُونَهُ، يَهْمِزُ بِمَنْ فَوْقَهُ، يَتَتَبَّعُ عُيُوبَ أَهْلِ الْقُرْآنِ لِيَضَعَ مِنْهُمْ وَيَرْفَعَ مِنْ نَفْسِهِ يَسْخَرُ بِمَنْ دُونَهُ، يَهْمِزُ بِمَنْ فَوْقَهُ، يَتَتَبَّعُ عُيُوبَ أَهْلِ الْقُرْآنِ؛ لِيَضَعَ مِنْهُمْ وَيَرْفَعَ مِن نَفْسِهِ، يَتَمَنَّى أَنْ يُخْطِئَ غَيْرُهُ وَيَكُونَ هُوَ الْمُصِيبُ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ مَوْلاَهُ الْكَرِيمِ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ أَظْهَرَ عَلَى نَفْسِهِ شِعَارَ الصَّالِحِينَ بِتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ ضَيَّعَ فِي الْبَاطِنِ مَا يَجِبُ لله، وَرَكَبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ مَوْلاَهُ الْكَرِيمِ، كُلُّ ذَلِكَ بِحُبِّ الرِّيَاسَةِ وَالْمَيْلِ إِلَى الدُّنْيَا، قَدْ فَتَنَهُ الْعُجْبُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَالإِشَارَةِ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ، إِنْ مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا أَوْ مُلُوكِهَا فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَ عَلَيْهِ سَارَعَ إِلَيْهِ وَسُرَّ بِذَلِكَ، وَإِنْ مَرِضَ الْفَقِيرُ الْمُسْتُورُ فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَ عَلَيْهِ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، يَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَيَتْلُوهُ بِلِسَانِهِ، وَقَدْ ضَيَّعَ الْكَثِيرَ مِنْ أَحْكَامِهِ، أَخْلاَقُهُ أَخْلاَقُ الْجُهَّالِ، إِنْ أَكَلَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ شَرِبَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ نَامَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ لَبِسَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ جَامَعَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ صَاحَبَ أَقْوَامًا أَوْ زَارَهُمْ أَوْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَوِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ فَجَمِيعُ ذَلِكَ يَجْرِي بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ، وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يَحْفَظُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ مُطَالِبٌ نَفْسَهُ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وَإِنْ كَانَ لاَ يُؤْبَهُ لَهُ وَلاَ يُشَارُ لَهُ بِالأَصَابِعِ)، قال محمد بن الحسين -رحمه الله: (فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَخْلاَقُهُ صَارَ فِتْنَةً لِكُلِّ مَفْتُونٍ؛ لأَنَّهُ إِذَا عَمِلَ بِالأَخْلاَقِ الَّتِي لاَ تَحْسُنُ بِمِثْلِهِ اقْتَدَى بِهِ الْجُهَّالُ، فَإِذَا عِيبَ عَلَى الْجَاهِلِ قَالَ: فُلاَنٌ الْحَامِلُ لِكِتَابِ اللهِ فَعَلَ هَذَا، وَنَحْنُ أَوْلَى أَنْ نَفْعَلَهُ! وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِعَظِيمٍ، وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَلاَ عُذْرَ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ، وَإِنَّمَا حَدَانِي عَلَى مَا بَيَّنْتُ مِنْ قَبِيحِ هَذِهِ الأَخْلاَقِ نَصِيحَةٌ مِنِّي لأَهْلِ الْقُرْآنِ لِيَتَعَلَّقُوا بِالأَخْلاَقِ الشَّرِيفَةِ وَيَتَجَافَوْا عَنِ الأَخْلاَقِ الدَّنِيَّةِ، وَاللهُ يُوَفِّقُنَا وَإِيَّاهُمْ لِلرَّشَادِ، وَاعْلَمُوا -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ- أَنِّي قَدْ

رَوَيتُ فِيمَا ذَكَرْتُ أَخْبَارًا تَدُلُّ عَلَى مَا كَرِهْتُهُ لأَهْلِ الْقُرْآنِ، فَأَنَا أَذْكُرُ مِنْهَا مَا حَضَرَنِي لِيَكُونَ النَّاظِرُ فِي كِتَابِنَا يَنْصَحُ نَفْسَهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ الْقُرْآنِ، فَيُلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، وَاللهُ -تَعَالَى- الْمُوَفِّقُ).

تقدم في الباب السابق ذكر ما ينبغي على قارئ القرآن أن يتحلى به من الأخلاق، وفي هذا الباب ذِكْر ما يترتب على مَن قرأ القرآن لا يريد به وجه الله -تعالى، وقد ساق المؤلف كثيرًا من الأعمال السيئة التي تنتج عمَّن قرأ القرآن لغير وجه الله وأراد به الدنيا، وفي هذا أيضًا تحذير شديد لمن تحمَّل القرآن العظيم ولم يَسِر به في الطريق الصحيح الذي شرعه الله -تعالى- له.

فقد يكون المؤلف -رحمه الله تعالى- قد شاهد هذا في زمانه وأن بعض الناس قد اتخذ القرآن مكسبًا يتكسب به لأعمال الدنيا؛ من المال والجاه والثناء.. وما أشبه ذلك، وأن هذه الأخلاق التي ساقها المؤلف تحصل بمن كانت نيته سيئة أو مخالفة لما أراد الله -تعالى؛ حيث قد تحمل كتاب الله وكان الأولى به أن يكون زاهدًا في الدنيا محبًّا لفعل الخير بعيدًا عن المعاصي مجانبًا للفتن والشهوات آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر كما تقدم لا أن يكون مفتخرًا متعاليًا على الناس، فإذا قرأ القرآن الكريم فإن القرآن يدعوه إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، ومن الأخلاق الفاضلة عدم الفخر على الناس وطلب الخيلاء، كما قال الله -تعالى- في وصية لقمان لابنه: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾[٤٩٣]، وقال -تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[٤٩٤].

فقد يحصل هذا من إنسان لا يعرف الأدلة الشرعية ولا يعرف الأحكام فيوجه وينصح في هذا، ولكن كيف بمن حفظ القرآن وتحمله ووقع في هذه المنهيات التي جاء فيها النهي ولا تمش ولا تصعر؟! هذا نهي من الله -تعالى- ينبغي الالتزام به والوقوف عنده وهو استجابة لأمر الله -تعالى- وأمر رسوله الذي قال الله -تعالى- فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٤٩٥].

---

(٤٩٣) لقمان: ١٨.

(٤٩٤) الإسراء: ٣٧ - ٣٨.

(٤٩٥) الأنفال: ٢٤.

وهنا بيَّن المؤلف أن قارئ القرآن الذي لا يريد به وجه الله تظهر على حياته وأعماله الآثار السيئة، ويعرفه الناس ويحكمون على فعله، وأنه لم يرد بهذا وجه الله، وإن كان هذا في القلب وفي النية والمقاصد والسرائر لا يعلمها إلا الله – تعالى، ولكن يظهر أثر ذلك في تعامله وحياته مع الناس، وربما يطلب أيضًا بقراءته للقرآن الفخر بما لديه من الحفظ والإتقان ومعرفة القراءات، وهذا قد ابتلي به كثير من قُرَّاء القرآن على مر الدهور من أزمنة متعددة.

وقد ذكر ابن الجوزي[٤٩٦] –رحمه الله تعالى– من تلبيس إبليس طرقًا من ذلك منها: أنهم يذهبون ويتتبعون الأسانيد ويقرؤون بها ولا يكتفون بقراءة على قارئ واحد، ويذهب إلى الثاني والثالث حتى يقال: إن فلانًا معه خمسة أو عشرة أسانيد قرأ بها القرآن، وجمع الروايات والقراءات، كما قال هنا: (زِيادةُ المعرفَةِ بالغرائبِ منَ القراءاتِ ولكنَّهُ لو عَقِلَ ما فعلَ ذلِك)، وهذا من تلبيس إبليس على القرَّاء وعلى أهل القرآن.

فإذا مَنَّ الله –تعالى– على قارئ القرآن أن يقرأ على شيخ حاذق ضابط وأجازه بالإسناد ففي هذا خير وبركة، لا أن يفاخر بهذا الإسناد ويشهره بين الناس ويعليه في وسائل الإعلام حتى يشتهر أمام الناس، فهذا داخل في الرياء – نسأل الله السلامة والعافية.

كذلك بعضهم يتتبع الشواذ في القراءات؛ لأن القراءات السبع معروفة ومتواترة، وكذلك الثلاث المتممة فهي عشر قراءات، وهناك قراءة الأربعة عشر، والأربعة شواذ وتكلم فيها أهل العلم وجمعها ابن خالويه[٤٩٧] في كتابه

---

(٤٩٦) عبد الرحمن بن علي بن محمد. جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخرة العراق.التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف. له مؤلفات جياد؛ منها: زاد المسير، وفنون الأفنان. ولد سنة تسع –أو عشر– وخمس مئة، وتوفي سنة سنة سبع وتسعين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥ ترجمة ١٩٢)، والذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٨ ترجمة ٢٢٧).

(٤٩٧) الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، أبو عبد الله النحوي الهمذاني الشافعي. أدرك أجلة العلماء ببغداد؛ مثل ابن الأنباري، وأبي سعيد السيرافي، وكان ينتصر له على أبي علي الفارسي. انتقل إلى الشام وصحب سيف الدولة ابن حمدان، وأدب بعض أولاده. له تصانيف جياد؛ منها: "إعراب القراءات السبع وعللها"، و"إعراب ثلاثين سورة". مات سنة سبعين وثلاث مئة. انظر: إنباه الرواة (١/ ٣٢٤ ترجمة ٢١٦)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٦٩ ترجمة ١٧٤).

"المختصر"، وجمعها أبو البقاء العُكْبَرِي[٤٩٨] في إعراب شواذ القراءات، وهي مبثوثة في كتب التفسير، فيتتبع قارئ القرآن الذي حفظ القرآن وأتقنه وضبطه وقرأ القراءات الشاذة ويقرأها، ثم يذيعها بين الناس ويبين ما فيها من الفوائد والمعاني، وهذه الشواذ لا تجوز القراءة بها في الصلاة، فهي لم تكن في العرضة الأخيرة، ولا يطلب الفخر ولا يتتبع غرائب القراءات، فالغرائب التي في القراءات كثيرة، ولو ذكر لكم كثيرًا منها لما انتهى المقام، ولكن لا ينبغي لقارئ القرآن أن يتتبع هذه الأمور، بل عليه أن يعمل بهذا القرآن ويتلوه ولا يشغل نفسه بأمور ليس مطالبًا بتتبعها والنظر فيها.

كما أن الذي يبتعد عن الإخلاص في طلب القرآن يقع في كثير من المنكرات والمعاصي، ومنها الكبر، كما أشار المصنف أنه يقع في الكبر والتعالي والفخر والخيلاء على غيره، فمَن أعرض عن القرآن وقع في الفتن العظيمة حتى لو كان حافظًا للقرآن، فهو إنما قرأ القرآن وأعرض عنه، قال -تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[٤٩٩]، فسيعرض في الدنيا للفتن والابتلاءات ويغتر بنفسه ويقع في الشهوات وفي الشبهات؛ لأنه لم يرد بذلك وجه الله -تعالى، كما أنه لا يحصل على الخشوع والخضوع والخوف من الله والبكاء عند تلاوة القرآن والتأثر بقراءة القرآن، وقد قال الله -تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٥٠٠].

---

(٤٩٨) الشيخ الإمام العلامة النحوي البارع محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ثم البغدادي الأزجي الضرير النحوي الحنبلي الفرضي صاحب التصانيف. ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة. قرأ بالروايات على علي بن عساكر البطائحي، والعربية على ابن الخشاب، وأبي البركات بن نجاح. وتفقه على القاضي أبي يعلى الصغير محمد بن أبي خازم وأبي حكيم النهرواني، وبرع في الفقه والأصول، وحاز قصب السبق في العربية. وتخرج به أئمة. كان ثقة، متدينا، حسن الأخلاق، متواضعا. وكان ذا حظ من دين وتعبد وأوراد. له مؤلفات حسان؛ منها: "التبيان في إعراب القرآن"، و"إعراب الحديث النبوي". مات في ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وست مئة. انظر: (٢/ ١١٦ ترجمة ٣٢٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩٢ ترجمة ٦٤).

(٤٩٩) طه: ١٢٤.

(٥٠٠) الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩.

فهذا أثره في النفوس المخلصة لله -تعالى، وقد أثنى الله -تعالى- على طائفة من أهل الكتاب الذين تأثروا بالقرآن وعملوا بما فيه كعبد الله بن سلام[٥٠١] وغيره، قال الله -تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[٥٠٢]، وقال -تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٥٠٣].

هكذا يفعل القرآن بصاحبه إذا كان مخلصًا لله -تعالى، أما إذا كان للرياء والسمعة والشهرة والتكثُّر بين الناس فإنه يُحرَم لذة الخشوع والحلاوة؛ فضلاً عن أن القرآن سيكون حجة عليه يوم القيامة حينما يلقى ربه -جل وعلا.

ومن الأمور التي يقع فيها البعيد عن الله -تعالى- بالإخلاص أنه يبدأ يتكسب بهذا القرآن، ويطلب به الأموال كما هو الحال والمشاهد الآن في كثير من بلاد المسلمين الذين يأتون يقرؤون القرآن في أماكن قد لا تكون مشروعة ولا القراءة فيها مشروعة، ويطلب أموالاً على ذلك ويشترط، حتى يقرأ في هذا المجلس أو في هذا المحفل، فهذا يتكسب بالقرآن وداخل في الوعيد -نسأل الله السلامة والعافية.

فالتكسب بالقرآن محرم ولا يجوز؛ لأن القرآن كلام الله -تعالى- وكلام الله يتقرب به إلى وجهه سبحانه، ويطلب منه الثواب الأخروي، وقد يأتيه الثواب في هذه الدنيا ويعجل له فيه من السعادة والاطمئنان والخير ودفعه المظالم والمآثم والفتن، كذلك الغفلة أنه أيضًا يقع في الغفلة، ويحرم التذكر بطاعة الله -تعالى، والغفلة هي صفة أهل الدنيا وصفة أهل النار، قال الله -تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٥٠٤]، فحكم عليهم بالغفلة،

---

(٥٠١) عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف من ذرية يوسف النبي -عليه السلام- حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي، ثم الأنصاري. كان حليفا لهم وكان من بني قينقاع. يقال: كان اسمه الحصين، فغيره النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى عبد الله، وجزم بذلك الطبري. أسلم أول ما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، وقيل: تأخر إسلامه إلى سنة ثمان. مات سنة ثلاث وأربعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٣٧ ترجمة ١٤٩٣)، والإصابة (٤/ ١١٨ ترجمة ٤٧٢٨).

(٥٠٢) آل عمران: ١١٣.

(٥٠٣) المائدة: ٨٣.

(٥٠٤) الأعراف: ١٧٩.

وأن سبب دخولهم النار أنهم كانوا في غفلة وإعراض عن الله -تعالى، وقد ذكَّر الله -تعالى- نبيه محمدًا -صلى الله عليه وآله وسلم- بذلك وهو المطيع المتذكر فقال: ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾(٥٠٥).

فهذا من باب التذكير، وإلا فهو إمام المتذكرين الذاكرين، وإنما ذكَّره ولا يقال حذَّره، فتذكير الله -تعالى- لأنبيائه من باب التذكير لهم، كما قال الله عن داود -عليه السلام: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾(٥٠٦)، فهو -عليه السلام- ليس متبعًا للهوى؛ لأنه مصطفى من الله، ولكن هذا من باب التذكير للأنبياء والتذكير لأتباعهم أيضًا وتحذير حتى لا يقعوا في مثل هذا.

فالغفلة الأصل فيها أنها مذمومة على الإطلاق إلا ما جاء النص عليه؛ لأن الغفلة قد تكون ممدوحة في حالة من الأحوال كما امتدح الله بها المؤمنات، قال -تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾(٥٠٧)، فسماهن الغافلات، والغفلة هنا صفة مدح وليست صفة ذم، والمعنى أنهم غافلات عن الفواحش والشر والسوء والإثم؛ لأن ما تقدم سياق في قصة الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾(٥٠٨).

وقد جاء في الحديث عند أحمد وغيره: «أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ»(٥٠٩)، والبله هم الغافلون، عن ماذا؟ غافلون عن الدنيا، المتعلقة قلوبهم بالآخرة بعيدون عنها، فهنا صفة مدح وليست صفة ذم، لكن الغالب على الغفلة أنها مذمومة؛ لأن الغفلة تعني الإعراض والانصراف عن أمر الله -تعالى، وهنا قال: (لاهٍ غافلٍ عمَّا يتلوهَا ويُتلَى عليه)، فهو حينما يتلو القرآن يتلو حروفًا وكلمات فحسب، ولا يقف عند الأوامر والنواهي فلا يتأثر بالقرآن، وقد تقدم أيضًا أن أهل الإيمان هم المتأثرون بالقرآن الذين يعملون به، قال الله -تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

---

(٥٠٥) الأعراف: ٢٠٥.

(٥٠٦) ص: ٢٦.

(٥٠٧) النور: ٢٣.

(٥٠٨) النور: ٢٣.

(٥٠٩) ضعيف: أخرجه البزار في مسنده (٦٣٣٩)، الطحاوي في شرح المشكل (٢٩٨٢)، من حديث أنس، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦١٥٤): ضعيف. وفي الباب عن جابر بن عبد الله وهو ضعيف جدا.

مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٥١٠]، وقال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[٥١١].

فلا يكون غافلاً، فقارئ القرآن هو الذي يحرص على أن يكون من المتذكرين المتأثرين، ويبتعد دائمًا عن الغفلة؛ لأن الغفلة إذا سيطرت على القلب أبعدته عن الله، وهي جند من جنود الشيطان أيضًا يسلطها الله -تعالى- على بعض عباده؛ ليصرفهم عن الطاعة والعبادة، ويصرفهم عن قراءة القرآن الكريم، كما أن الذي لا يريد به وجه الله لا يريد به الإخلاص لا يقبل الحق، فإذا أخطأ في حرف من الحروف أو في أية من الآيات لا يقبل أن يرد عليه، فيدخله العناد والاستكبار، ولا يقبل الحق، ويرى أنه أحفظ الناس، فتراه يعيد الآية ويكررها إذا أخطأ فيها حتى يصحح الصواب بنفسه، فهذا قد تكبر واستنكف عن قبول الحق، وما علم أنه بشر يصيب ويخطئ ويذنب فيقبل الحق ولا يحتقره ممن جاء منه.

وكذلك فهو يبتعد عن العلم بالقرآن الكريم فلا يتدبر ولا يتبع القرآن، وقد تقدم من الآيات أن الله -جل وعلا- قد مقت قومًا يسمعون القرآن ولا يتدبرونه كالمجانين، قال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٥١٢]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾[٥١٣]، وقال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ﴾[٥١٤]، فهذا هو المعرض عن القرآن الذي قرأ القرآن وأعرض عنه، وهذه حال المنافقين -نسأل الله السلامة- الذين يقرءون القرآن ولا يعملون به أو يسمعون به ولا يتأثرون به، وكما تقدم في سورة القتال أنهم كانوا يجلسون مجلس النبي -عليه الصلاة والسلام- ويستمعون القرآن والمواعظ والحكم والآثار فإذا خرجوا قالوا ماذا قال آنفًا: ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي: الذين استفادوا وتأثروا، قالوا ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾[٥١٥]، ولكن ألم تكونوا حاضرين وتستمعون؟!

---

(٥١٠) الزمر: ٢٣.

(٥١١) الأنفال: ٢.

(٥١٢) محمد: ٢٤.

(٥١٣) المؤمنون: ٦٨.

(٥١٤) النساء: ٨٢.

(٥١٥) محمد: ١٦.

إذن هو لا يتأثر ولا يسمع ولا يعظم هذا الكلام الذي يسمعه، فضلاً عن أن يكون قد حفظه ووعاه في قلبه، إنه لا يتأثر به ولا يحافظ عليه، فمثل هذا تجده قليل المعرفة بما دل عليه القرآن الكريم، كما قال المصنف: (فهوَ يأكلُ بغيرِ علمٍ، حلال أو حرام أو شبه، وهو أيضًا ينام بغيرِ علمٍ)، بمعنى أنه لا يلتزم بالأذكار والأدعية، بل بعضهم -نسأل الله السلامة- لا ينام إلا على الموسيقى الأغاني، وقد علمت هذا من بعض الأشخاص -نسال الله السلامة العافية.

وهذا مما يبتغى به غير وجه الله أنه تأتيه المصائب والفتن والحسرات من الشيطان، فهو حينئذ لا يعلم ماذا دل عليه القرآن لا في حلال ولا في حرام ولا في مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا مركب ولا منظر ولا مشي ولا حديث، وكذلك يطلق لسانه في الكلام مع الناس، وتمر عليه الأمثلة في القرآن الكريم في تلك الأمثلة التي ضربها الله لعباده -وقد آتاهم الله القرآن- ماذا كانت؟! قال الله -تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٥١٦]، فإذا قرأ مثل هذه تعود أن يكون مثل هذا؛ لأن يتعبه ويكون مثله آتاه الله القرآن فضربه وراء ظهره، وبدأ يخالف ما دل عليه القرآن فيترك التفكر في الأمثال التي ضربها الله؛ لأن الأمثال التي في القرآن الكريم لا يعقلها إلا من تفكر وتدبر وعقل، قال -تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَ الْعَالِمُونَ﴾[٥١٧] أي: الذين يعلمون.

بل إنه يطلب حب الثناء والشهرة بين الناس، ويتظاهر بأنه يختم القرآن بعدد كذا وكذا، ويتظاهر أيضًا بأنه أحسن المقرئين وأنه الذي يفتتح الحفلات دائمًا، وأنه أفضل المتقنين والضابطين، وإذا سمع أحدًا يقرأ عليه القرآن ينتقد ويتتبع السقطات ولا يذكر الحسنات حتى لا يعلو عليه؛ ولهذا يقول بشر بن الحارث[٥١٨]: "هلك القراء في اثنتين؛ في العجب

---

(٥١٦) الأعراف: ١٧٥.

(٥١٧) العنكبوت: ٤٣.

(٥١٨) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم. ولد سنة اثنتين وخمسين ومئة. ارتحل في العلم، فأخذ عن: مالك، وشريك، وحماد بن زيد، وعدة. حدث عنه: أحمد الدورقي، ومحمد بن يوسف الجوهري، ومحمد بن مثنى السمسار، وخلق سواهم. قال ابن حجر في التقريب: ثقة قدوة. مات سنة سبع وعشرين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٩٩ ترجمة ٦٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩ ترجمة ١٥٣).

والكبر"[٥١٩]، العجب إعجاب بالنفس فلا يرى أحدًا أفضل منه، وهذا على مر العصور والدهور وقع فيه كثير من أهل القرآن كما ذكره الذهبي[٥٢٠] في كتاب التراجم، وذكره ابن الجزري[٥٢١] وغيره أنهم يتفاخرون فيما بينهم، هذا يفتخر على هذا بما لديه من القرآن، بل إن بعضهم يقول: إن قراءة هذا لا تصح ولا يجوز أن يقرأ بمثل هذا، وما ذلك إلا حسد وبغض وكراهية، ولكن إذا كانت قراءته ضعيفة فعلمه القراءة الصحيحة إن كنت تستطيع، ألم تعلم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[٥٢٢]؟ فأنت تقول هذا حرام ولا يجوز فتنتقده بمثل هذا، فهو يريد أن يمدح نفسه ولو بالباطل، ويريد أن يذم غيره ولو كان محقًّا.

هذا لا يكون إلا ممن لا يريد به وجه الله -تعالى، والحسد قد يكون متمكنًا في قلبه، مثل هذا الإنسان الذي يقرأ القرآن ويباهي به الناس فيتمكن الحسد من نفسه؛ فيغبط أهل الخير ويغبط أهل الصلاح، ويرى أنه المقدم عليهم ويطلب حوائجهم بالقرآن الكريم فإذا لم تقضى حاجته يقول: أهل القرآن هم أولى بأن يُساعَدوا وأن تقضى حوائجهم، وأنا من أهل القرآن، فأنا أحق الناس بالمساعدة! فهو يتطلب بهذا الدنيا -نسأل الله السلامة والعافية- وهو

---

(٥١٩) أخرجه البيهقي في "الشعب" (٦٧٨٢)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/ ٢١٠) بنحوه.

(٥٢٠) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي. الإمام، المحدث، مؤرخ الإسلام، صاحب العبارة الرشيقة، والجملة الأنيقة. من شيوخه: ابن دقيق العيد، وابن تيمية. مولده في سنة ثلاث وسبعين وست مئة، ووفاته سنة ثمان وأربعين وسبع مئة. له من مؤلفات حسان جياد؛ منها: "سير أعلام النبلاء"، و"معرفة القراء الكبار". انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٠٠ ترجمة ١٣٠٦)، وانظر مقدمة الدكتور/ بشار للجزء الأول من كتابه السير.

(٥٢١) محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الدمشقي ثم الشيرازي المقرئ الشافعي المعروف بابن الجزري. نسبة إلى جزيرة ابن عمر قرب الموصل. كان أبوه تاجرا، فمكث أربعين سنة لا يُولد له ولدٌ، ثم حج فشرب ماء زمزم بنية أن يرزقه الله ولدا عالما، فولد له صاحب الترجمة في ليلة السبت الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وخمسين وسبع مئة بدمشق، فنشأ بها، فأخذ القراءات عن جماعة. واشتد شغفه بالقراءات حتى جمع العشر ثم الثلاث عشرة، وتصدى للإقراء بجامع بنى أمية. له تصانيف كثيرة نافعة؛ منها: "النشر في القراءات العشر"، و"التمهيد في التجويد". توفي بشيراز يوم الجمعة خامس ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة. انظر: الضوء اللامع (٩/ ٢٥٥ ترجمة ٦٠٨)، والبدر الطالع (ص: ٨١٢ ترجمة ٥١٥).

(٥٢٢) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب عبس وتولى كلح وأعرض (٤٩٣٧)، مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه (٧٩٨)، واللفظ له، من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

قد وقع في الفتنة وفي العجب بما في قلبه من هذا القرآن الذي لا يريد به وجه الله؛ ولهذا قال -تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٥٢٣]، يعجبك كلامه وحسنه وهو قد تعلم القرآن الكريم لكنه لم يرد به وجه الله -تعالى.

وكذلك فهو لا يصحب الصالحين؛ لأن قارئ القرآن إذا صحب الأخيار والصالحين يعلم أنهم سوف ينصحونه ويدلونه على الخير ويذكرون بأخطائه وعيوبه، بل يسعى إلى مصاحبة مَن هو أقل منه علمًا أو فيه جهل كجهله؛ حتى يتعالى عليه ويترفع، وهذا خلاف السنة وخلاف الفطرة الصحيحة، فالإنسان يجالس الأخيار ويجالس الصالحين ويجالس العلماء ويستفيد منهم، وإذا جالس مَن هو دونه عليه أن يذكرهم وينصحهم ويدلهم على الخير لا أن يتباهى بما لديه.

ثم بعد ذلك يقوم بفعل الأوامر التي جاء النهي عنها، ويقلده عامة الناس من الجهال وأهل الغفلة، فإذا سئلوا عن هذا الفعل قالوا: أهل القرآن يفعلون هذا ويستحلون هذه الأمور، ويتحلون بهذه الأخلاق، فنحن نقتدي بهم، كما ذكر المؤلف هنا أن حامل القرآن يفعل هذا، ويقولون: نحن أولى أن نفعله، إذن فهي قدوة سيئة ونصيحة لا تصح، فالأمر خطير جدًّا، وعلى مَن قرأ القرآن الكريم أن يبتغي وجه الله -تعالى، وأن يجاهد نفسه فيه، وأن يحسن العمل والاتباع للقرآن الكريم كما كان الصحابة والسلف الصالح من التابعين وغيرهم، فكانوا حريصين على الاتباع والتدبر أكثر من حرصهم على كثرة القراءة وكثرة الحفظ، وكما تقدم من الآثار أنهم كانوا لا يتجاوزون الخمس الآيات ولا العشرة الآيات حتى يتعلموها ويتعلموا ما فيها من الأحكام والأوامر، فإذا أتقنوا ذلك انتقلوا إلى غيرها.

فالله الله في الاتباع والاقتداء بما في هذا القرآن الكريم والإخلاص لله -تعالى- فيه؛ حتى تقع البركة ويكثر الخير من قارئ القرآن.

(عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: فَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا حِينٌ وَمَا نَرَى أَنَّ أَحَدًا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ إِلاَّ اللهَ -تَعَالَى، فَلَمَّا كَانَ هَا هُنَا بِآخِرِهِ خَشِيتُ أَنَّ رِجَالاً يَتَعَلَّمُونَهُ يُرِيدُونَ بِهِ النَّاسَ وَمَا عِنْدَهُمْ، فَأَرِيدُوا اللهَ -تَعَالَى- بِقِرَاءَتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ وَإِذْ يُنَبِّئُنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ،

(٥٢٣) البقرة: ٢٠٤.

فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ مَضَى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَانْقَطَعَ الْوَحْيُ، وَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ؛ مَنْ أَعْلَنَ خَيْرًا أَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ وَظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، وَمَنْ أَظْهَرَ شَرًّا أَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ وَظَنَنَّا بِهِ شَرًّا، سَرَائِرُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ -عَزَّ وَجَلَّ[٥٢٤]..

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ[٥٢٥] قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَفِينَا الأَعْجَمِيُّ وَالأَعْرَابِيُّ قَالَ: فَاسْتَمَعَ فَقَالَ: «اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحَ يَسْتَعْجِلُونَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ»[٥٢٦]..

حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ[٥٢٧] حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنِ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ[٥٢٨] أَنْبَأَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ[٥٢٩] أَنْبَأَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّبَذِيُّ[٥٣٠] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدَةَ[٥٣١] -وَهُوَ أَخُوهُ- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ[٥٣٢] قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَقْتَرِئُ إِذْ

---

(٥٢٤) حسن: أخرجه أحمد في المسند (٢٨٦)، فضائل القرآن للفريابي (١٥٦) واللفظ له.

(٥٢٥) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وكان مفتي المدينة في زمانه. شهد ليلة العقبة مع والده، وأطاع أباه يوم أحد، وقعد لأجل أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة، وقد ورد أنه شهد بدرا. شاخ، وذهب بصره، وقارب التسعين. توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة سبع وتسعين. انظر: الاستيعاب (ص: ١١٤ ترجمة ٢٩٦)، وأسد الغابة (١/ ٤٩٢ ترجمة ٦٤٧).

(٥٢٦) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١٤٨٥٥، ١٥٢٧٣)، أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يجزىء الأمي والأعجمي من القراءة (٨٣٠)، قال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

(٥٢٧) يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب، الإمام الحافظ المجود، محدث العراق، أبو محمد الهاشمي البغدادي، مولى الخليفة أبي جعفر المنصور، رحَّال جوَّال، عالم بالعلل والرجال. ولد سنة ثمان وعشرين ومئتين، وتوفي سنة ثمان عشرة وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٣٤١ ترجمة ٧٤٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠١ ترجمة ٢٨٣).

(٥٢٨) هو: الحسين بن الحسن بن حرب، أبو عبد الله السلمي المروزي. نزيل مكة، صاحب بن المبارك. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. مات سنة ست وأربعين ومئتين. انظر: الثقات لابن حبان (٨/ ١٩٠ ترجمة ١٢٩١٧)، وتهذيب الكمال (٦/ ٣٦١ ترجمة ١٣٠٤).

(٥٢٩) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها "الزهد". قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «الْحَمْدُ لله، كِتَابُ الله وَاحِدٌ، وَفِيكُمُ الأَخْيَارُ، وَفِيكُمُ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ، اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، اقْرَءُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَهُ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ»)[٥٣٣].

بعد ما تقدم ساق المؤلف هذه الأحاديث والآثار في عقوبة من يقرأ القرآن ولا يريد به وجه الله -تعالى، منها هذا الأثر عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقد أخرجه أيضًا الحديث هذا أحمد[٥٣٤] والحاكم[٥٣٥] [٥٣٦] والنسائي[٥٣٧] وأبو داود[٥٣٨] والبيهقي[٥٣٩][٥٤٠] بألفاظ مختلفة طولاً وقصرًا، وأخرج بعضه أيضًا البخاري[٥٤١] في بعض ألفاظه.

---

(٥٣٠) موسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحارث، أبو عبد العزيز الربذي المدني. أخو عبد الله بن عبيدة ومحمد بن عبيدة ينتسبون إلى اليمن والناس ينسبونهم إلى الولاء. كان عابد إلا أنه ضعيف في الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ضعيف ولا سيما في عبد الله بن دينار، وكان عابدا. مات سنة ثلاث وخمسين ومئة، انظر: الجرح والتعديل (٨/ ١٥١/ ترجمة ٦٨٦)، وتهذيب الكمال (٢٩/ ١٠٤ ترجمة ٦٢٨٠).

(٥٣١) عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذي مولى بني عامر بن لؤي. أخو موسى بن عبيدة، ومحمد بن عبيدة. قال البخاري ينتسبون في حمير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة، قتلته الخوارج. مات سنة ثلاثين ومئة. انظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٠١ ترجمة ٤٦٦)، وتهذيب الكمال (١٥/ ٢٦٣ ترجمة ٣٤٠٩).

(٥٣٢) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي. من مشاهير الصحابة يقال: كان اسمه حزنا، فغيره النبي -صلى الله عليه وسلم- حكاه ابن حبان. مات النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة. مات سنة إحدى وتسعين. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٠٨ ترجمة ١٠٥٠)، والإصابة (٣/ ٢٠٠ ترجمة ٣٥٣٥).

(٥٣٣) حسن صحيح: أخرجه يحيى بن صاعد في روايته لزهد ابن المبارك (٨١٣).

أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٤٦٦ - منتخب)، الطبراني في الكبير (٦٠٢١، ٦٠٢٢) من طريق موسى بن عبيدة به.

أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة (٨٣١) عن سهل بن سعد بنحوه، قال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

(٥٣٤) سبق تخريجه.

(٥٣٥) الإمام الحافظ، الناقد العلامة، شيخ المحدثين، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري، الشافعي، صاحب المستدرك. مولده في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بنيسابور. وطلب العلم في صغره بعناية والده وخاله، وأول سماعه كان في سنة ثلاثين وثلاث مئة، وقد استملى على أبي حاتم ابن حبان في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة وهو ابن ثلاث عشرة سنة. توفي في سنة ثلاث وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢ ترجمة ١٠٠)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٥ ترجمة ٣٢٩).

وهذه موعظة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وعظ فيها الصحابة في وقته، وبيَّن ما كان عليه الصحابة وقت النبي -عليه الصلاة والسلام- من الإخلاص وحب القرآن وقراءة القرآن، وأنهم كانوا يبتغون به وجه الله -تعالى، فلما انقضى عصر النبي -عليه الصلاة والسلام- تغيرت أحوال بعض الناس في قراءة القرآن الكريم وانصرفت قلوبهم إلى الدنيا بهذا القرآن العظيم؛ ولهذا يدلك على أنه قال: (كَانَ فينا رسولُ الله -صلى الله عليهِ وسلَّم- وَإذْ ينزلُ الوحيُ وإذ ينبئنا اللهُ من أخبارِكم)، فإذا وقعت مخالفة في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- واضحة بينة ينزل القرآن ليعالج هذه القضية، فتنزل الآية خاصة والحكم عام، وهناك آيات خاصة نزلت في بعض الأشخاص؛ لأنهم وقعوا في أخطاء شرعية يعالجها القرآن، ويأمر الله -تعالى- نبيه -عليه الصلاة والسلام- بأن يبلغهم بالحق والصواب، كما حصل في القتل في آية القتل التي نزلت خاصة وحكمها عام: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً﴾(٥٤٢)، وفي قوله -تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾(٥٤٣)، وفي قوله -تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾(٥٤٤)، فقد نزلت في بعض الصحابة؛ لتعديل ما وقع فيه من أخطاء.

أما وقد انقطع الوحي مات النبي -عليه الصلاة والسلام- فلم يبقَ لنا من أموركم إلا ما ظهر، وأما السرائر فإن الله -تعالى- هو الذي يتولاها ويعلمها، فمن أظهر خيرًا وصلاحًا وتقوى أحببناه، ومن أظهر خلاف ذلك من الشر-

---

(٥٣٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٥) بنحوه..

(٥٣٧) أخرجه النسائي: كتاب القسامة، باب القصاص من السلاطين (٤٧٧٧) مختصرا بغير محل الشاهد.

(٥٣٨) أخرجه أبو داود: كتاب الديات، باب القود من الضربة وقص الأمير من نفسه (٤٥٣٧) بغير محل الشاهد.

(٥٣٩) الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي، صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وثمانين ثلاث مئة في شعبان ومات في عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربع مئة بنيسابور، ونقل في تابوت إلى بيهق مسيرة يومين. من تصانيفه: "السنن الكبرى"، و"الخلافيات". انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣ ترجمة ٨٦)، طبقات الحفاظ (ص٨٧).

(٥٤٠) أخرجه البيهقي (١٧٦٨٥) بنحوه.

(٥٤١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات ، باب الشهداء العدول وقول الله -تعالى-: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ و﴿ممن ترضون من الشهداء﴾(٢٦٤١)

(٥٤٢) النساء: ٩٢.

(٥٤٣) المجادلة: ١.

(٥٤٤) الحجرات: ١.

والعصيان أبغضناه وتركناه، والله -تعالى- هو المطلع على السرائر: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾(٥٤٥)، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾(٥٤٦)، فانقطع الوحي، ولكن انقطاع الوحي بعد كمال الرسالة وتمام الشريعة، فيأتي أناس بعد هذا الأمر يقرؤون القرآن ولكن نياتهم مختلفة، فأراد أن يعظهم ويذكرهم بهذا الأمر العظيم، وهذا يدلك أيضًا على أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كان بعضهم ينصح بعضًا إذا رأوا بعض المخالفات فيهم ويذكرونهم دائمًا بالله ويعظونهم، كما كان يفعل عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبو ذر(٥٤٧) ومعاذ بن جبل(٥٤٨) وعمر بن الخطاب، فكانوا يذكرونهم إذا وقعوا في شيء من المخالفات أو المعاصي.

وبعد ذلك ساق المصنف رقم ثمانية وعشرين حديث جابر يقول فيه: وقد أخرجه أحمد(٥٤٩)وأبو داود(٥٥٠) والبيهقي(٥٥١) وابن أبي شيبة(٥٥٢)(٥٥٣)وعبد الرزاق(٥٥٤) في المصنف(٥٥٥)، ولا يخلو من مقال فيه ضعف بعد تتبع أسانيده أنه

---

(٥٤٥) آل عمران: ٢٩.

(٥٤٦) القصص: ٦٩.

(٥٤٧) أبو ذر الغفاري، الزاهد المشهور، الصادق اللهجة. مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن. كان من كبار الصحابة، وهو قديم الإسلام. يقال: أسلم بعد أربعة، فكان خامسا، ثم انصرف إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، وله في اسلامه خبر حسن. مات سنة إحدى -وقيل: اثنتين، أو أربع- وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ١١٠ ترجمة ٢٨٩)، والإصابة (٧/ ١٢٥ ترجمة ٩٨٦٨).

(٥٤٨) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي. أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وآخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عبد الله بن مسعود. توفي في طاعون عَمَوَاس سنة ثماني عشرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٥٠ ترجمة ٢٢٧٠)، وأسد الغابة (٥/ ١٨٧ ترجمة ٤٩٦٠).

(٥٤٩) سبق تخريجه.

(٥٥٠) سبق تخريجه.

(٥٥١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٣٩٩، ٢٤٠٠) به.

(٥٥٢) عبد الله بن محمد أبو بكر العبسي، الكوفي، الإمام، العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار، وهو من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ، ويحيى بن معين أسن منهم بسنوات. طلب أبو بكر العلم وهو صبي، وأكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله القاضي. قال أبو زرعة: ما رأيت أحفظ منه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ صاحب تصانيف. ولد سنة خمس وستين

قال: خرج علينا النبي -عليه الصلاة والسلام- ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعجمي والأعرابي.. كما سيأتي في الحديث، فينا الأحمر والأسود، وهذا يدل أيضًا الحديث أنه لا تفرقة بين أهل الإيمان، وأنهم إخوة في الإسلام تسودهم المحبة والتآلف القلوب، لا يفرقون بين أسود ولا أبيض ولا أعجمي ولا عربي؛ لأن الله -تعالى- قد جمعهم على الإسلام والإيمان بالله -تعالى، فالقرآن هو الذي يجمع القلوب يؤلفها.

فسمع النبي -عليه الصلاة والسلام- قراءتهم، وكأنه -عليه الصلاة والسلام- سُرَّ لهذه القراءة وفرح بها وحسنها لهم مع أنهم لم يكونوا على درجة واحدة في التلاوة؛ فبعضهم متقن وبعضهم متعتع وبعضهم الذي يشق عليه وبعضهم الضعيف في التلاوة لا يستطيع أن يقيم الحروف، لكنه -عليه الصلاة والسلام- قال لهم: «اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ»، وكأنه يقول -عليه الصلاة والسلام- لا حرج عليكم في هذه التلاوة التي تقرؤون بها ولا تقيمون حروفها فكل له أجر على قدر تلاوته.

ثم حذر أيضًا من أمر خطير سيأتي بعدهم، لكنه حسن حالهم وشهد لهم بذلك وذكرهم، فهذا من هدي النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه كان إذا ذكَّر الصحابة بشيء أو سألوه عن شيء حذرهم من شيء آخر وهم لم يسألوا عنه؛ وهذا كثير فيه الأحاديث الواردة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- من ذلك ما جاء في صحيح مسلم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- صلى ذات يوم الفجر، ورأى الناس في المسجد أكثر مما كانوا عليه فكأنه سألهم: «مَا الَّذِي أَتَى بِكُمْ؟». قالوا: سمعنا عيرًا قادمة من البحرين وفيها كذا وكذا، يعني: فيها أرزاق وفيها معيشة وفيها أموال، قال:

ومئة، وتوفي سنة خمس وثلاثين ومئتين. من مؤلفاته: "الإيمان"، و"المصنف". انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٣٤ ترجمة ٣٥٢٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢ ترجمة ٤٤).

(٥٥٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٦٢٦) عن محمد بن المنكدر موقوفا عليه بإسقاط جابر بن عبدالله.

(٥٥٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميري مولاهم، الصنعاني، الثقة، الحافظ الكبير، عالم اليمن. ارتحل إلى الحجاز، والشام، والعراق، وسافر في تجارة. حدث عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، ووثقاه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ مصنف، وكان يتشيع. ولد سنة ست وعشرين ومئة، وتوفي سنة إحدى وعشرة ومئتين. ومن أشهر مصنفاته "المصنف". انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٥٢ ترجمة ٣٤١٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٠).

(٥٥٥) أخرجه عبد الرازاق في المصنف (٦٠٣٤) عن محمد بن المنكدر موقوفا عليه بإسقاط جابر بن عبدالله.

«أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا»، لكنه انتقل بهم إلى أمر آخر قال: «أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(٥٥٦).

وهذا الأثر ليس له سبب، لكنه النبي -عليه الصلاة والسلام- قاله تذكيرًا ليذكرهم بما هو أخطر وأعظم حتى لا تتعلق القلوب بشيء فيه معصية، كذلك هنا قال: استمع إلى قراءتهم وقال: «اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ»، ثم قال: «وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحَ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ».

وقوله: «يُقِيمُونَهُ»، أي: يصلحون ألفاظه وكلماته، ويتكلفون في مخارجه وصفاته، وهذا واضح من بعض القراء المشاهدة قراءتهم، تجده دقيق الملاحظة في إخراج الحرف من مخرجه، وفي بيان صفة الحرف كاملة ويتكلف في ذلك، ويفتح فكَّيه ويهز رأسه ويمد شفتيه، حرصًا منه على إقامة الحروف إقامة سليمة ليس فيها خلل حتى إذا سمعها صاحب الاختصاص والفن يقول: هذه قراءة سليمة لا غبار عليها، وهذا حاصل وكثير، وقد أعجب به في هذا الزمن كثير من أهل القرآن؛ فتجده يتكلم في قراءة ذلك التكلف البليغ وقد حذر منه الداني في كتاب التحديد قال: "عبارة ألا يكون هناك تكلف ولا تنطع"، فلا تنطع ولا تشدق في التلاوة، بل التلاوة تكون ميسرة مسهولة سهلة واضحة بينة لا تكلف فيها، فيذهب حينئذ الهم والنية والإرادة إلى إقامة الحرف، فتجد مثل هذا يرتكب المعاصي وهو متقن للقراءة، كما قال -عليه الصلاة والسلام: «سَيَأْتِي قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ»، أي: يقيمون هذا القرآن ولا تجد عليهم خطأً في التلاوة على الإطلاق، ويخدعون السامع والمشاهد لهم في هذه التلاوة، ويظنون أنه لا أحد أحسن من هذا في التلاوة، لكن العمل ضعيف أو قد لا يوجد لديه عمل بهذا القرآن الكريم «كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحَ»، القدح هو السهم الذي يقام ليس في اعوجاج، وهذا من صفات المتأخرين الذين يحرصون على إقامة الحروف وترك العمل بالقرآن الكريم، ثم ماذا يتعجلون هذه التلاوة.

وقوله: «إِقَامَةَ الْقِدْحِ»، ذكر هذه العبارة تدل على أنهم يبالغون في الضبط والإتقان؛ وذلك لأجل الرياء والسمعة والمباهاة والشهرة بين الناس حتى يقال فلان أقرأ الناس، فلان لا يجاريه القراء ولا يباريه القراء، هو أحسن القراء على

---

(٥٥٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا (٤٠١٥)، مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف -رضي الله عنه.

الإطلاق، لكن الواقع في العمل يخالف ذلك -نسأل الله السلامة والعافية، ولم يكن هذا من هدي الصحابة -رضوان الله عليهم.

فأبو موسى الأشعري[٥٥٧] كان يقرأ قراءة معتدلة يقيم فيها الحروف، وقد رزقه الله حسن صوت والعمل، فقد كان يقرأ في بيته القرآن في الليل، فمر النبي -عليه الصلاة والسلام- وشهد له بذلك، وهو لا يعلم أن النبي مر عليه أو سمع تلاوته، فرزقه الله -تعالى- هذا الشرف العظيم وهذه الشهادة العليا التي شهد بها التاريخ إلى يومنا هذا.

كذلك أبيٌّ[٥٥٨] يأتيه النبي -عليه الصلاة والسلام- ويذكره أن الله -تعالى- ذكره في الملأ الأعلى؛ لأنه مخلص في التلاوة لم يطلب فيها رياءً، ولم يسع إلى الإقامة التي يريد بها العجلة في الدنيا، وإنما أرادوا الأجر في الآخرة، ولكن الله -تعالى- عجل لهم أيضًا الأجر وهو الثناء في هذه الدنيا، فضلاً عما يدخر لهم في الآخرة.

فقوله: «إِقَامَةَ الْقِدْحِ»، نقول: هذا مبالغة في كمال التلاوة، لا يوجد عليها نقد فالمدود تكون مدود متقنة لا نقص فيها ولا زيادة، كذلك الغنة والمخارج والصفات، ولكنهم كما قال -عليه الصلاة والسلام- يتعجلون ثوابه في الدنيا، وقد قيل -كما جاء في الحديث الصحيح: «أَنَّهُ يُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارَ ثَلاَثَةٌ»[٥٥٩] ومنهم قارئ القرآن الذي يريد به الشهرة والثناء بين الناس، فقد قيل: تعجلوه وجاءهم ولا يتأجلونه لا يطلبون الثواب الذي في الآخرة، حرموا أنفسهم من

---

(٥٥٧) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٥١ ترجمة ٣١٣٧)، والإصابة (٤/ ٢١١ ترجمة ٤٩٠١).

(٥٥٨) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدري، ويكنى أيضا أبا الطفيل. شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعرض على النبي -عليه السلام-، وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل -رضي الله عنه-. قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: « ليهنك العلم أبا المنذر». مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٢ ترجمة ٢)، وأسد الغابة (١/ ١٦٨ ترجمة ٣٤).

(٥٥٩) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

الخير المعد لهم في الآخرة بسبب ما تعلجوه في هذه الدنيا، فهم لا يطلبون ثواب الآخرة ولا ينظرون إليه، وإن نظروا إليه نظروا إليه نظرة ضعيفة، وإنما يطلبون نظر الدنيا وقد نالوا ذلك في الدنيا.

وكذلك الحديث الذي بعده وهو مُخَرَّج عند أحمد وفيه قول النبي -عليه الصلاة والسلام- لما خرج على الصحابة أيضًا وهم مجتمعون لقراءة القرآن وأثنى عليهم النبي -عليه الصلاة والسلام- ثناء وحمد الله على فعلهم وقال: «الْحَمْدُ لله، كِتَابُ الله وَاحِدٌ، وَفِيكُمُ الأَخْيَارُ، وَفِيكُمُ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ، اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، اقْرَءُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَهُ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ»[٥٦٠]، ففي هذا ثناء من النبي -عليه الصلاة والسلام- على بعض قراء القرآن من الصحابة، وفيه أيضًا دعوة إلى أخوة الإسلام، وأن القرآن هو طريق الاجتماع والائتلاف، وأنه لا فرق بين أحمر ولا أسود إلا بالتقوى.

وحذرهم أيضًا من أولئك القوم الذين يأتون ويقرؤون القرآن طلبًا للدنيا، وأنهم لا يعملون به، وقد جاء في حديث آخر أيضًا أنهم ذكر الخوارج وأنهم يجتهدون في قراءة القرآن وفي إتقانه وضبطه وحفظه ولكنه لا يجاوز تراقيهم، وهذا من الفتن التي تعجل لقارئ القرآن -نسأل الله السلامة والعافية.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل هناك كتاب جامع للقراءة في المؤثرة في الأحكام كقوله -تعالى: أَوْ لاَمَسْتُمُ، أو لمستم؟

هذا في تفسير الآية، ففيها قراءتان: لامستم أو لمستم، وأكثر من يعتني بالقراءات ابن جرير الطبري[٥٦١] -رحمه الله تعالى- في تفسيره الجامع لآي القرآن الكريم، وكذلك كل من فسر في القرآن الكريم يتعرض للقراءات، فيتعرض لها

---

(٥٦٠) سبق تخريجه.

(٥٦١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المحتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله. كان ثقة، صادقا، حافظا، رأسا في التفسير، إماما في الفقه والاجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك. وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات، من جاهل، وحاسد، وملحد، فأما أهل الدين والعلم؛ فغير منكرين علمه، وزهده في الدنيا، ورفضه لها، وقناعته. له مؤلفات جياد؛ منها: "جامع البيان"، و"تهذيب الآثار". مات سنة عشر وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧ ترجمة ١٧٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٩١ ترجمة ٥٧٠).

ابن كثير والقرطبي، خاصة القراءات التي فيها أحكام ومعانٍ، وفيها خلافات بين أهل العلم؛ لأن القراءات القرآنية متعلقة بعدة علوم؛ متعلقة بعلم اللغة والفقه والعقيدة أيضًا، فبعض القراءات ينبني عليها أحكام فقهية كما في قوله - تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[٥٦٢]، أو في قوله: ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[٥٦٣]، أو يتطهرن، وعلى هذا فالعلماء يبنون على هذه القراءة حكمًا وعلى تلك القراءة حكمًا، وربما يعتمدون حكمًا من الأحكام الفقهية بقراءة من القراءات، فهذا في تفسير ابن كثير[٥٦٤] وابن جرير وفي القرطبي[٥٦٥] وفي ابن عطية[٥٦٦] وفي البحر المحيط يتعرض هنا لهذا، هذا من ناحية التفسير.

أما من ناحية القراءات فكتب القراءات على نوعين؛ كتب قراءات رواية، وكتب قراءات دراية، فكتب الرواية التي تروي بإسناد مثل كتاب التبصرة لمكي بن أبي طالب[٥٦٧]، وأما كتاب الرواية التي يوجه القراءة ما توجيه هذه

---

(٥٦٢) البقرة: ٢٢٢.

(٥٦٣) البقرة: ٢٢٢.

(٥٦٤) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي البصري، ثم الدمشقي الشافعي، أبو الفداء عماد الدين، الحافظ المؤرخ الفقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، سنة إحدى وسبع مئة، وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وسبع مئة. له العديد من التصانيف؛ منها البداية والنهاية، والتفسير، وغيرها من المصنفات. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ (١/ ٣٨)، طبقات المفسرين (١/ ٢٦٠ ترجمة ٣١٣).

(٥٦٥) الإمام المفسر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، الأندلسي، المالكي. كان إماما متفننا متبحرا في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبانُ. وكان مع ذلك من عباد الله الصالحين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة. له تواليف ممتعة؛ منها: "الجامع لأحكام القرآن"، و"التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة". توفي بمصر سنة إحدى وسبعين وست مئة، ودفن بها. انظر: الديباج المذهب (٢/ ٣٠٨ ترجمة ١١٤)، ونفح الطيب (٢/ ٢١٠ ترجمة ١٢٢) ت: إحسان عباس.

(٥٦٦) الشيخ الإمام المفسر القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي. ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مئة. فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث، والنحو واللغة والأدب. حسن التقييد. له نظم ونثر. ولي القضاء وكان غاية في الذكاء والدهاء. له مصنفات حسان؛ أشهرها: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". توفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مئة. انظر: الديباج المذهب (٢/ ٥٧ ترجمة ٨)، ونفح الطيب (٢/ ٥٢٦).

(٥٦٧) العلامة المقرئ، أبو محمد، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، القيسي القيرواني، ثم القرطبي، صاحب التصانيف. ولد بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاث مئة. وأخذ عن: ابن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي. وكان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم. وكان خيرا

القراءة فهو كتاب أيضًا لمكي بن أبي طالب وهو علل وجوه القراءات السبع، ولأبي منصور أحمد بن محمد الأزهري[٥٦٨] كتاب اسمه علل القراءات، وفي كتاب النشر لابن الجزري أيضًا قراءات بالرواية، وهناك بعض التوجيه لها.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل من المشروع ابتداء اللقاءات العلمية وحفلات التكريم بقراءة القرآن أم نقول هذا ذكر مطلق فلما خص كان أمرًا مبتدعًا؟

إذا كانت هناك مناسبة أو احتفال يبتدأ بالقرآن، فالقرآن الكريم كله خير وأن يبدءوا بما هو خير، والتبرك بالقرآن جائز فإذا بدأ به فلا شيء في ذلك -إن شاء الله.

أحسن الله إليكم، إذا كان الرجل يقرأ ولكن قراءته تحيل المعنى تمامًا، فهل يدخل في حديث: «الذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق»؟.

هناك لحن جلي ولحن خفي، اللحن الخفي هذا قد يغتفر لمن لا يستطيعه، والخفي لا يعلمه إلا المختص، أما اللحن الجلي الظاهر هذا لا يجوز، وعليه أن يعدل من قراءته، فإن أخطأ في إعراب آية أو بدل الحرف بحرف آخر كما في سورة الفاتحة -وهي ركن من أركان الصلاة- يغيِّر فيقول: أنعمتُ، فيرفع أنعمتَ، هذا لحن جلي يحيل المعنى كأنه هو الذي ينعم، أما إذا أسقط الهمزة لعدم قدرته فقال: صراط الذين انعمت عليهم، فهو لم يخرج همزة القطع، والصحيح أن يقول: صراط الذين أنعمت عليهم؛ لأن الهمزة همزة قطع، فإذا لم يأتِ بها محققة كاملة فهذا لحن خفي، ولا نقول لا تجوز به الصلاة، بل تجوز به، لكنه لا يحيل المعنى، أيضًا إذا قال: الحمد لله رب العالمين، ولم يمد، لم يقل: العالمين،

متدينا، مشهورا بإجابة الدعوة، دعا على رجل كان يؤذيه، ويسخر به إذا خطب، فزمن الرجل. له مؤلفات جيدة؛ منها: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، و"الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه". توفي في المحرم سنة سبع وثلاثين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٩١ ترجمة ٣٩٥)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٣٩٤ ترجمة ٣٣٣).

(٥٦٨) العلامة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي. ارتحل في طلب العلم بعد أن سمع ببلده من الحسين بن إدريس، ومحمد بن عبد الرحمن السامي وعدة، وسمع ببغداد من أبي القاسم البغوي، وابن أبي داود، وترك ابن دريد تورعا؛ فإنه قال: دخلت داره، فألفيته على كبر سنه سكران. روى عنه: أبو عبيد الهروي مؤلف "الغريبين"، وأبو يعقوب القراب، وآخرون. وكان رأسا في اللغة والفقه. ثقة، ثبتا، دينا. من أشهر مؤلفاته: "تهذيب اللغة"، و"علل القراءات". مات في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاث مئة، عن ثمان وثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥ ترجمة ٢٢٢)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٦٣ ترجمة ١٠٨).

فهذا لحن خفي لا يدركه إلا أهل الاختصاص، أما اللحن الجلي فهو إحالة المعنى على ما يجوز، كذلك يقول: هياك، فيبدل الهمزة هاء، والصواب: إياك؛ لأنها قريبة منها، فالهمزة مخرجها من أقصى الحلق كذلك الهاء؛ لأن الهمزة والهاء من حروف الإظهار، وهذا لا تجوز الصلاة به لأنه أحال المعنى.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: حكم القراءة بالتجويد مستحبة أم واجبة؟

على الإنسان أن يزين تلاوته ويحسنها، وهذا يتطلب ألا يبقى على حاله فيتطلب تحسين التلاوة؛ لأن فيها أجر عظيم، وقد قال الله -تعالى- لنبيه -عليه الصلاة والسلام: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[٥٦٩]، والترتيل هو القراءة بتؤدة مع بيان المخارج والصفات وإعطائها حقوقها.

فقارئ القرآن المطلوب منه ألا يكتفي بقراءته، بل يطلب تحسينها وتزيينها وضبطها وإتقانها، ويخلص لله -تعالى- في ذلك، ولا بد أن يقرأ على شيخ؛ لأن القراءة مرتبطة بالتلقي والمشافهة والرؤية، أما إذا أخذ من وسائل أخرى كالسماع وغير ذلك فإنه لا يستطيع أن يقيم؛ لأنه قد يخرج مثلاً الحروف كلها من الأنف، والحروف لا تخرج كلها من الأنف؛ ولهذا تجد أن أكثر القراء حروفهم من الخيشوم، وإذا أردت أن تعرف ذلك فاقبض الأنف واقرأ، تجد أنه ما يستطيع أن يقرأ؛ لأن حروفك خرجت إلى أعلى ما تخرج من طريقها.

وليس بينه وبين تركه *** إلا رياضة امرئٍ بفكه

فلا بد من رياضة الفك بالتلاوة والإنسان يجاهد نفسه

---

(٥٦٩) المزمل: ٤.